البحوث

العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين منذ ظهور الإسلام وحتى أوائل القرن العشرين

د. جعفر كرار أحمد

تمهيد

تعالج هذه الدراسة علاقات منطقة الجزيرة العربية مع الصين منذ ظهور الإسلام وحتى أوائل القرن العشرين ، في محاولة لسبر أغوار الجذور التاريخية للعلاقات الراهنة بين الصين وهذا الجزء من الوطن العربي ، وكذلك لتأكيد أن العودة القوية للعلاقات الصينية - الخليجية في السنوات العشر الأخيرة كان الشكل الطبيعي للعلاقات بين المنطقتين (الصين وشبه الجزيرة العربية) وذلك لأن التبادل التجاري والاقتصادي ظل باستمرار ومنذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحالي يجرى بين منطقتين رئيسيتين إحداهما الشرق الأقصى والتي تقع الصين في القلب منها ، والشرق الأدنى وبلاد البحر المتوسط والتي تكون منطقة شبه الجزيرة العربية أهم مراكزه على الإطلاق ، وقد فرض الواقع الجغرافي والاقتصادي والثقافي على هاتين المنطقتين ضرورة التبادل والتلاقي من أجل المنفعة المشتركة للبشرية جمعاء .

الدراسة تحاول أن تلقي الضوء على تاريخ التبادل الطويل بين الصين وهذه المنطقة آملين أن نكون قد وفقنا في سد بعض أوجه النقص في الدراسات المتعلقة بالعلاقات الدبلوماسية والتجارية بين هذه المنطقة والصين ، إلا أنه من المفيد هنا أن نذكر أن الدراسة لم تتناول كما هو واضح العلاقات الصينية ـ العربية خلال الفترة المذكورة أعلاه ، بل تناولت جانبا منها وهو علاقات الصين مع شبه جزيرة العرب ، آملين أن نعود في دراسة منفصلة وشاملة لتناول العلاقات الصينية - العربية في العصور الوسطى وانعكاساتها على حركة الثقافة والحضارة في الصين ، كما نود أن ننبه إلى أن هذا البحث لا يدعى الإلمام بكل جوانب العلاقات بين الصين وشبه جزيرة العرب وخصوصا في جزئه الأول (المقدمة) المتعلق بالعلاقات قبل العصر الإسلامي إذ استعصت علينا مراجع هامة مثل العمل القيم لأغاثارخيدس (On the Erythraean Sea) ، و(Natural History) لبلينى ، وكذلك الدراسة الجيدة للدكتور سليمان البدر (منطقة الخليج

---

* زميل معهد الدراسات التاريخية ، جامعة بكين .

العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد) إذ لم نعثر على هذه الأعمال في مكتبات الصين ، إلا إننا حاولنا أن نستعيض عنها بمصادر صينية تغطي فترة الاتصالات التي تمت قبل الإسلام مثل (Shi-Chi السجلات التاريخية) والمكتوب في حوالي عام ٩١ قبل الميلاد وكذلك (Chien han Shu كتاب تاريخ أسرة هان المبكر) والمكتوب في حوالي عام ٩٠ ميلادية والتي تغطي أحداثه الفترة من ٢٠٦ قبل الميلاد إلى ٢٥ ميلادية وكتاب (Hou-han-Shu) والمكتوب في القرن الخامس الميلادي وتعطي أحداثه الفترة من ٢٥م إلى ٢٢٠م .

والدراسة على كل حال خطوة صغيرة أردنا بها فتح الباب لباحثين آخرين أكثر اقتدارا لبدء عمل توثيقي نحتاجه لعلاقات الصين مع هذه المنطقة .

تفترض الدراسة التي بين أيدينا أن أول تبادل دبلوماسي رسمي تم في العصور الوسطى بين العرب والصين قام به دبلوماسيون من شبه جزيرة العرب ، كما أن أول تبادل دبلوماسي رسمي بين الصين والبلاد العربية حدث في بداية هذا القرن تم أيضا بين الصين وبلاد شبه الجزيرة العربية وذلك عندما أقامت المملكة العربية السعودية علاقات دبلوماسية مع الصين وذلك في عام ١٩٣٩م .

تحاول الدراسة أيضا إثبات أو نفي فرضية أخرى وهي أن العلاقات بين هذه المنطقة والصين لم تنقطع منذ بداياتها المعلنة في عام ٦٥١م وحتى يومنا هذا ، فعندما يتوقف التبادل التجاري والدبلوماسي الرسمي بين حكام هاتين المنطقتين لسبب أو لآخر ، لم تنقطع وفود الحجاج والدارسين الصينيين إلى شبه جزيرة العرب ، وبذلك نفترض أن هذه المنطقة هي الوحيدة من بين أجزاء الوطن العربي الأخرى التي احتفظت بعلاقات مع الصين دون انقطاع مؤثر .

الدراسة تحاول أيضا أن تساهم في حل إشكالية الزيارات والوفود والإشارات الغامضة لمبعوثين ورجال دعوة جاءوا من المدينة إلى الصين إبان حياة الرسول الكريم ، حيث عاشوا وماتوا ودفنوا في مدن بعينها في الصين ، علما بأن الباحثين الصينيين لا يزالون يسجلون اجتهادات جديدة حول تاريخ وصول وطبيعة مهمة هذه البعثة المثيرة للجدل ، وقد قمنا بزيارة ميدانية إلى مدينة Quangzhou ومدينة Guangzho في جنوب الصين لدراسة النقوش والكتابات الموجودة على القبور الخاصة ببعض هؤلاء الدعاة ، وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نستفيد ونمزج بين الأدلة الأثرية المتوفرة لدينا حول علاقات الصين مع العرب والمصادر الصينية في مظانها الأصلية مثل كتاب تاريخ أسرة تانغ القديم (كتب في حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي ويغطي الفترة من ٦١٨-٩٠٦م) ، و Hsin-tang-Shu (كتاب تاريخ أسرة تانغ الجديد

والذي كتب في منتصف القرن الحادي عشر) ، وغيرها من المصادر الصينية الواردة في متن هذا البحث ، هذا إلى جانب الاستعانة بالمصادر العربية مثل رحلة السيرافي للهند والصين ومروج الذهب والمسالك والممالك ، والسلوك وتاريخ اليعقوبي وتاريخ الطبري وغيرها من المصادر العربية المعروفة التي عنيت بحفظ بعض المعلومات أو الإشارات عن علاقات الصين بمنطقة شبه جزيرة العرب .

آملين أن تكون هذه الدراسة إضافة معقولة للدراسات التي عنيت بعلاقات المنطقة بالشرق الأقصى والتي قام بها جيل من الباحثين المقتدرين مثل فيصل السامر وسليمان العسكري وعلي حسين السليمان الناصر وغيرهم من أجلاء الباحثين العرب .

وأخيرا تأتي أهمية الدراسة أيضا من رؤيتنا للواقع المعاصر لعلاقات الصين مع هذه المنطقة في الوقت الحاضر فقد عاد الخليج العربي مرة أخرى إلى قلب الاستراتيجية الصينية في الشرق الأوسط ونشطت الصين في العقد الأخير لتأمين وجود اقتصادي وتجاري وسياسي في منطقة الخليج العربي ، خصوصا بعد أن أصبحت الصين ومنذ عام ١٩٩٣ مستوردا هاما للنفط الخليجي ، بل أصبحت في بعض الأحيان الشريك التجاري الأول أو الثاني لبعض دول الخليج العربية «حالة دولة الإمارات العربية المتحدة مثلا» .

كما عادت دول شبه جزيرة العرب تطرق أسوار الصين بحثا عن دعم سياسي أو لتنويع مصادر سلاحها أو لاحتلال مكانها في أضخم سوق عرفه التاريخ .

المقدمة:

يتفق معظم المؤرخين والباحثين المعاصرين على أن العلاقات بين بلاد الصين وشبه الجزيرة العربية قد بدأت في أوائل العصر الإسلامي ، إلا أن هنالك احتمالات لاتصالات بين الصين وهذه المنطقة قبل العصر الإسلامي وذلك لموقع شبه الجزيرة العربية الفريد وربطه للطريق التجاري القديم بين البحر المتوسط والشرق الأقصى ، ومما يزيد من احتمالات هذه الاتصالات ما نعرفه عن اتصالات قديمة بين الشرق الأقصى ومنطقة شبه جزيرة العرب ، وخير دليل على قدم هذه الاتصالات هو العثور على أحجار نقش عليها بخط المسند الحميري في جزر الهند الشرقية والفلبين ، ويعتقد المؤرخ المعروف فيصل السامر أن هذه الأحجار قد تكون بقايا مركز تجاري قديم [١] ، هذا إلى جانب أن أهل هذه المنطقة قد أنشأوا موانئ نشطة كمراكز للانطلاق

إلى الهند وذلك مثل ميناء أكيلا الواقع على مقربة من رأس الخيمة (مسندم) والذي ذكره بلينيوس[٢] . هذا بالإضافة إلى ميناء عدن ، ولا نستبعد أن يكون بحارة من هذه المنطقة قد أبحروا أيضا من الهند إلى الصين .

إن سيطرة أهل شبه جزيرة العرب على كثير من شؤون البحر والتجارة في الزمن القديم يجد له ما يدعمه عند المؤرخين القدماء ، فقد أشار (أغاثارخيدس) ١٨٣ ق م إلى أنه لم يكن هناك أمة أغنى من الجراهمة والسبئيين بسبب تفوقهم التجاري وسيطرتهم على التجارة التي تنقل بين آسيا وأوربا[٣] .

وبفتح طريق الحرير القديم في وقت ما في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد بدأت مرحلة جديدة في العلاقات بين الصين ووسط وغرب آسيا بما فيها منطقة شبه جزيرة العرب ، إذ تشير المصادر الصينية إلى أنه قبل نهاية القرن الثاني قبل الميلاد قام الصيني Zhang Qian برحلته المشهورة إلى الأقاليم الغربية* حيث زار Tiao Shi العراق والمناطق* التي حولها ، بل إن Zhang قد ظهر بنفسه أمام البلاط الفارسي في عام ١١٥ق م[٤] .

وقد واصل الصينيون اهتمامهم بمنطقة غرب آسيا فأرسل الجنرال Kan Ying مساعده الجنرال Pan Chao* في مهمة رسمية للمنطقة الغربية وبتحديد أكثر إلى بلاد Ta-Tsin (سوريا)* وذلك في عام ٩٧م ، وقد وصل Kan Ying عن طريق البر إلى منطقة العراق الحالية ولما أراد التوجه إلى Ta-Tsin قال له بحارة الحدود الغربية AN-shi وهم البارسيون (الفرس قبل الساسانيين) العبور إذا كانت الريح مواتية سيستغرق ثلاثة أشهر وإن لم تكن كذلك فيحتاج إلى سنتين كما أن الكثيرين قد فقدوا حياتهم فوق هذا البحر[٥] .

ويبدو أن الطريق المائي الذي تحدثت عنه الرواية هو الفرات والذي كان سالكا بين سوريا والعراق في ذلك الوقت على كل حال قفل Kang Ying عائدا إلى بلاده دون أن يواصل رحلته إلى سوريا بعد أن تعمد البارسيون الذين كانوا يكافحون للإنفراد بالتجارة مع الصين تضليل المبعوث الصيني .

ورغم أن Kang Ying لم يكمل رحلته ، إلا أنه عاد إلى بلاده بمعلومات قيمة حول أحوال البلاد العربية ومنطقة الخليج العربي ، فقد سجل كتاب أسرة هان ولأول مرة المعلومات التالية إذا اتجهت غربا من AN-Shi (فارس) وقطعت حوالي ٣٤٠٠ لى (لى= نصف كليو متر) فإنك سوف تصل بلاد A-Man (عمان)[٦] . وهذه على حد علمي المرة الأولى التي يظهر فيها اسم عمان في المصادر القديمة إلا أن بلاد عمان كانت قد ذكرت أيضا كميناء ومركز تجاري هام في مرجع قديم آخر وهو كتاب الطواف في البحر الأرتيري (كتب حوالي عام ٥٠-٦٠م) حيث

ذكرها كاتب الكتاب تحت اسم Ommana ووصفها بأنها بلدة تجارية وبها سوق ، كما أشار إلى أن السفن الضخمة عادة ما ترسل من Barygaza في الهند إلى هذا الميناء محملة بالأخشاب والصندل والنحاس ، ومن هناك أيضا ترسل السفن إلى الهند[٧] .

ومن المصادر الهامة التي أشارت إلى المنطقة أيضا كتاب Sima Qian المسمى Chi-Ji (السجلات التاريخية ٩١ق م) ، إذ أشار هذا المصدر التاريخي الهام إلى العراق Tiao Zhi وإلى جاراتها من الدول والمشايخ مشيرا إلى أن المنطقة تخضع لفارس[٨] ، كما أشار المصدر نفسه (Shi-Chi)إلى منطقة الخليج العربي عرضا عندما تحدث عن أول سفارة صينية أرسلت إلى البلاط الفارسي يقول هذا المصدر ما نصه «أن ملك فارس أرسل ٢٠,٠٠٠ من فرسانه لإستقبال الوفد الصيني عند الحدود الشرقية والتي تبعد عدة آلاف «لى» من عاصمة الإمبراطور» ومضى المصدر يقول «مرورا باتجاه الشمال يعبر المرء عدة عشرات من المدن العامرة بالسكان والخاضعة لفارس[٩] ، إن الوفد الصيني الزائر إذا ما صحت الرواية لابد أنه مر بعدد من المدن العربية في الخليج العربي وخصوصا أن المصدر قد أشار بوضوح إلى مدن عامرة بالسكان خاضعة لفارس بما يفيد أن هذه المدن لم تكن جزءا أصيلا من الإمبراطورية الفارسية .

على كل حال لدينا مصدر صيني آخر يشير إلى وفد قادم من العراق يقول هذا المصدر «في السنة الأولى من حكم الإمبراطور Yun Ying ١٢٠م جاء مبعوث من بلاد Tiao-Zhi(العراق) ولما مثل أمام الإمبراطور قدم هدية عبارة عن طائر (Agui Baggie)ببغاء يستطيع أن يفهم الكلام»[١٠] .

ويبدو أن المعلومات حول بعض أجزاء منطقة شبه الجزيرة العربية كعمان وغيرها قد تراكمت على مدى عقود حكم أسرة هان ، إذ يعتقد (Hirth) أنه بحلول عام ٢٠٠م وبنهاية حكم أسرة هان ٢٢٠م ، كانت مناطق مثل الحيرة معروفة بالاسم لدى الصينيين ، ويضيف أن مدينة الحيرة المزدهرة قد وردت في أكثر من موقع في كتاب Hou han Shu (كتاب تاريخ أسرة هان الأخيرة) تحت اسم Yu-Lo[١١] . ويعتقد Hirth في عمله القيم China and the Roman Orient بعد استقصاء جيد لطرق التجارة بين الصين وآسيا الغربية من المصادر الصينية الأصلية أن مناطق من شبه الجزيرة العربية كانت جزء من طرق التجارة بين الصين ومنطقة غرب آسيا في الزمن القديم وخصوصا على الطريق بين الصين وسوريا حيث يشير إلى أن هذا الطريق يبدأ من الصين وينتهي إلى آسيا الوسطى عن طريق البر ومن هنالك برا أيضا إلى الحيرة ثم مدخل الفرات على الخليج العربي ثم بحرا إلى المحيط الهندي والبحر الأحمر ثم إلى

غزة فدمشق ، ويعتقد Hirth أن هذا الممر التجاري ظل معروفا منذ بداية العلاقات التجارية بين الصين وغرب آسيا حتى عام ١٦٦م[١٢] .

وما إن أطل القرن الأول الميلادي حتى كانت الموانئ اليمنية والعمانية قد أصبحت مراكز تجارية هامة في التواصل مع الشرق الأقصى ، وكان أحد ملوك شبوه قد أنشأ ميناء في منطقة ظفار عرف باسم ميناء سمهر أو سمهرام سرعان ما أصبح ميناء هاما تبحر منه السفن إلى الشرق الأقصى[١٣] ، كما يبدو أن موانئ شبه جزيرة العرب المطلة على الخليج العربي قد استفادت بشكل عام إبان الفترة البيزنطية من الصراع الاقتصادي الشرس بين الساسانيين والبيزنطيين حيث نجح الساسانيون في تقليص تجارة البيزنطيين ونقلوا تجارة الصين والهند وسيلان البحرية إلى الخليج العربي ، حيث كانت بضائع الشرق تمر بموانئ صحار والبحرين ثم تنتقل بعد ذلك إلى الأبلة بالعراق ومن هناك تنقل إلى الشام لتباع للبيزنطيين وكانت أهم مواد تلك التجارة الحرير الصيني الذي شغف به البيزنطيون[١٤] .

ورغم النشاط التجاري الواضح لموانئ في شبه جزيرة العرب خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين إلا أن مصدرا تاريخيا معروفا مثل الطواف في البحر الأريتري والذي يتابع التجارة في المحيط الهندي والبحر الأحمر لم يربط بشكل واضح بين شبه جزيرة العرب والتجارة مع الشرق الأقصى ولم يشير إلى أي نشاط تجاري مباشر أو غير مباشر بين هذه المنطقة والصين ، ولا توجد أي أدلة في هذا الكتاب بأن التجار العرب ذهبوا أبعد من الهند وسيلان[١٥] . رغم أن صاحب الطواف في البحر الأريتري يشير باستمرار إلى أن أهل جزيرة العرب ، الجراهمة والسبأيين وغيرهم كانوا شركاء في النظام التجاري لذلك الزمن[١٦] . بل إن صاحب الطواف في البحر الأريتري لم يتطرق كثيرا للتجارة مع الصين واعتبر الصين التي أطلق عليها Ts,in و Land of This أنها البلد الذي يجلب منه الحرير عن طريق البر من Bactria إلى Barygaza في الهند ووصفها بأنها بلد بعيد يصعب الوصول إليه «وأن ثمة رجالا قليلين جاءوا من هناك»[١٧] .

وفي اعتقادي أن العبارة الأخيرة في حديث صاحب الطواف عن الصين تعني أنه شاهد أو علم بوجود صينيين في مكان ما في شمال أفريقيا أو البحر الأحمر أو الخليج العربي ، على كل حال تأتي أهمية النصوص التاريخية لهذا المصدر ورغم أنها لم تربط المنطقة بالتجارة بأبعد من الهند ، من كونها عكست في استعراضها السريع لساحل شبه جزيرة العرب نشاطا واضحا وأهمية جغرافية وتجارية لموانئ مثل عدن ، موزه ، وعمان والأبله .

وربما يعود نقص المعلومات حول النشاط التجاري على ساحل الخليج العربي الذي كان خاضعا آنذاك إلى الفرس في روايات صاحب الطواف في البحر الأريتري إلا أن الكتاب قد كتب في وقت كان الصراع دائرا بين الفرس والروم .

إلا أنه يبدو منذ القرن الخامس الميلادي أن الطريق البحري الذي ربط بين مصر والخليج العربي وفارس من ناحية والهند والشرق الأقصى من ناحية أخرى أصبح مطروقا للتجار العرب وفي مقدمتهم تجار عمان واليمن ، وكان هؤلاء التجار قد أقاموا محطات للاسترشاد على طول الطريق البحري إلى جنوب الهند وحتى قوانجو في جنوب الصين حيث توجد أدله على أن العرب كانوا قد استقروا في هذه المدينة في فترة سابقة لعام ٣٠٠م[١٩]

تتزامن الحقبة الأخيرة في العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والصين قبل ظهور الإسلام مع الممالك الشمالية والجنوبية في الصين ٤٢٠م - ٥٨٩م خلال فترة حكم أسرة Song (٤٢٠م - ٤٧٩م) حيث وصلت سفن صينية إلى منطقة الخليج العربي ، وتشير المصادر الصينية إلى تكرار رحلات السفن الصينية إلى منطقة الخليج العربي إبان فترة حكم أسرة Sui (٥٨١م - ٦١٨م) وذلك حسب ماورد في تقرير (أخبار الدول الأجنبية) لمؤلفه Shen Yui (٤٤٠م-٥١٣م) وكتاب تاريخ أسرة ليوسونغ (٤٨٨م)[٢٠] .

ويبدو أن المصادر العربية تتفق مع المصادر الصينية حول احتمالات وصول سفن الصين إلى الخليج العربي قبل الإسلام إذ يقول أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب «أن نهر الفرات كان ينتهي عند الحيرة حيث تجئ مراكب الصين إلى ملوك الحيرة[٢١] ، يشير أيضا ابن عمر أحمد بن محمد عبد ربه الأندلسي في «العقد الفريد» إلى أن النعمان بن المنذر قدم على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فافتخر النعمان بأهله وفضلهم على غيرهم «من الهند المنحرفة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقشرة»[٢٢] .

وما يهمنا في هذه الرواية هو وجود وفود الصين في البلاط الفارسي قبل الإسلام ولقائهم بوفد النعمان ، ومع أن بن عمر الأندلسي لم يشر في روايته ما إذا كان هذا الوفد قد جاء عن طريق البر أو البحر إلا أن الاحتمال الأكبر في اعتقادي أن الوفد جاء عن طريق البحر لسهولته وقلة مخاطره قياسا للطرق البرية آنذاك .

ويعتقد البروفسور الصيني عبدالرحمن ناجونغ أنه خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي

كانت سفن الصين تصل إلى سيراف والبصرة ومرفأ عمان ، كما كانت سفن الخليج العربي بدورها تقوم برحلات مباشرة إلى الصين[٢٣] ، وتتفق المراجع الغربية أيضا على أن النشاط التجاري بين شبه الجزيرة العربية والصين كان معروفا في تلك الفترة ، إذ يقول Needham في سفره الجليل (العلوم والحضارة في الصين) أنه بنهاية القرن الرابع الميلادي وبداية القرن الخامس الميلادي من المحتمل أن تكون سفن التجار الصينيين قد وصلت إلى مصب نهر الفرات ومناطق أخرى في جنوب الجزيرة العربية مثل عدن[٢٤] .

ويدعم الرأي بوجود النشاط التجاري بين الصين وشبه جزيرة العرب في فترة ما قبل الإسلام العثور على قطع خزفية صينية في منطقة صحار تعتقد مونيك كارفران أنها تعود إلى الفترة الساسانية وهي عبارة عن أوعية صلبة ذات لون يميل إلى السواد أو بلون أسود رمادي ومغلفة بطبقة زجاجية ، وتشير مونيك إلى أن هذه الأوعية قد ظهرت لأول مرة بعدما تم استيرادها من الصين إلى شبه الجزيرة العربية على أيدي التجار العرب الذين كانوا يقومون بشحنها من الموانئ الصينية وإحضارها إلى بلادهم ، وتؤكد مونيك أن هذه القطع الخزفية المكتشفة في صحار تقف شاهدا على الملاحة العمانية المباشرة باتجاه الصين وبالعكس وذلك منذ بداية القرن الرابع أو الخامس الميلادي[٢٥] .

ونلاحظ أن أعدادا كبيرة من العرب والفرس والهنود كانت تقيم في بعض المدن الصينية إبان فترة مملكة Wei الشمالية (٣٨٦م – ٥٥٧م) بالإضافة إلى جالية عربية كبيرة كانت تقيم في منطقة Lo Yang المعروفة الآن بمحافظة خونان ، هذا إلى جانب جالية عربية مشهورة في قوانجو[٢٦] .

ونحن لا نستبعد أن يكون بعض المقيمين في هذه المدن من أبناء منطقة شبه الجزيرة العربية لما أسلفناه من نشاط تجاري قديم بهذه المنطقة مع الشرق الأقصى .

العلاقات بين الصين وشبه الجزيرة العربية إبان أسرة تانغ والممالك الخمس ٦١٨-٩٦٠م

تؤكد المصادر التاريخية الصينية أن الوجود العربي في الصين تزامن مع مجيء أسرة Tang (٦١٨ـ٩٠٧م) إلى حكم الصين ، وقبل ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية وقد كان هناك عرب ضمن رعايا تلك الأسرة وكانت لهم نشاطات تجارية بالإضافة إلى صناعات صغيرة حيث أقاموا مصنعا بمدينة Guangzhou وذلك في حدود عام ٦٢٢م[٢٧] «أي قبل الهجرة» .

إذ تشير سجلات أسرة Tang إلى أن «في المنطقة الغربية * طائفة من الناس تزدهر بلادهم تارة وتتدهور تارة أخرى»[٢٨] كما يبدو أن العقود الأولى لأسرة تانغ قد شهدت حالات زواج بين القادمين من المنطقة الغربية ونساء صينيات ، إذ يفيدنا الجزء رقم (١٠٠) من كتاب Tang Hui Yao أن الإمبراطور Tai Zong (٦٢٦ ـ ٦٤٩م) ، كان قد أصدر في عام ٦٢٨م أمرا بعدم السماح للأجانب بمغادرة الصين مع زوجاتهم الصينيات ، ويعتقد الباحث الصيني إبراهيم فنغ يوان «إن العادة كانت تجرى آنذاك على تسمية المسلمين العرب الذين قدموا إلى الصين بحرا بالأجانب»[٢٩] .

ولما كان تجار ومواطنو شبه الجزيرة العربية ناشطين في التجارة مع الصين في ذلك الوقت فلا نستبعد أن يكون هنالك مواطنون خليجيون قد استوطنوا الصين وتزوجوا صينيات وربما أصبحوا أيضا رعايا للحكومة الصينية آنذاك .

على كل حال وبينما كان الطريق التجاري وبالتحديد شقه البحري سالكا بين الصين ومنطقة شبه الجزيرة العربية وفي الوقت الذي كانت فيه الجاليات العربية بالمدن والموانىء التجارية الصينية تنمو وتزدهر ، حدث تحول خطير في البنية الاجتماعية والثقافية والسياسية في شبه الجزيرة العربية ، وكان هذا التحول الكبير هو ظهور الإسلام .

وكم كان من المدهش حقا أن نجد أن البلاط الصيني كان يتابع بشكل جيد التطورات الجديدة في شبه الجزيرة العربية بل ومنذ كانت الدعوة في بداياتها الأولى تواجه وحيدة قوى المؤسسة السياسية والدينية والاقتصادية الشرسة لقريش ، في هذا الوقت المبكر كانت المصادر الصينية وبالطبع البلاط الملكي يرصد الأحداث الدائرة في قلب مكة ، يقول كتاب تاريخ أسرة تانغ القديم Old Tang Shu «كان الأمر في بلاد Tashi (العرب) الواقعة غرب An Xi (الفرس) في يدي قبيلة قريش التي يتفرع منها بنو هاشم وبنو مروان ومن البيت الهاشمي ظهر رجل شجاع وذكي فحارب خصومه وأصبح حاكما على يثرب»[٣٠] ، يقول كتاب أسرة تانغ القديم أيضا حول الموضوع نفسه تحت عنوان سجلات حول Tashi ، (بلاد العرب) تقع غرب An XI وفي الفترة من ٦٠٥ ـ ٦١٧ في عهد الامبراطور Yang Guang من أسرة سوى ، التقى رجل في تلال المدينة بأسد يستطيع الكلام ، وقد أخبر الأسد هذا الرجل قائلا «بالقرب من جبال المدينة يوجد ثلاثة كهوف توجد داخلها كمية من الأسلحة كما يوجد في أحد هذه الكهوف حجر أسود منحوت عليه كتابات بيضاء ، إذا قرأت هذه الكتابات ربما قد تصبح ملكا ، فسمع الرجل حديث

الأسد وذهب إلى الكهوف وهناك وجد الحجر الأسود والأسلحة وكانت الكتابات على الحجر الأسود تحضه على الثورة[٣١] .

هذه الرواية لا تزال محفوظة في كتاب أسرة تانغ القديم وهي كما نرى رواية مشوشة إلا أنها واضحة الدلالات فهي تتحدث عن بدايات الدعوة منذ كان الرسول الكريم يختلي بنفسه في غار حراء ونزول الوحي المبارك عليه ثم صراعه مع خصوم الدعوة وهجرته إلي يثرب حيث أصبح سيدها الأول ، والحديث عن معرفة صينية بالرسول ونشاطاته إبان حياته حديث يتناثر هنا وهناك في مصادر صينية وغربية وهو أمر لا يجب التقليل من شأنه .

على كل حال لنا منطقنا في أنه يبدو أن القيادات الجديدة في شبه الجزيرة العربية لم تسقط الصين من حساباتها وهم يخططون لبدء مسيرتهم المقدسة لنشر دينهم الحنيف ، إذ تمتلىء مصادر صينية معظمها يعود إلى أسرة مينغ مثل تاريخ أسرة مينغ ، وكتاب Ta Ming-I Tung Chih (تم تحقيقه في عام ١٤٦١م) ، وكتاب سيرة خاتم الأنبياء للكاتب الصيني المسلم Lio Chih ، هذا بالإضافة إلى كتاب تاريخ فو جيان ، وكتاب Quangzhou ، وكتاب تاريخ Hangzhou ، كما تحتفظ عدة مساجد صينية حتى الآن بنقوش على الحجر تتحدث عن أخبار هؤلاء الرجال القادمين من المدينة مثل النقش الموجود في مسجد دينغتشو بمقاطعة خبى والمنقوش على يد يانغ شوى حوالي عام ١٣٤٨م ، كما رأيت شخصيا أثناء زيارتي لـ Quangzhou نقوشا مشابهة في مسجد تشنغجينغ القديم ، وقد نقشت هذه الكتابات على يد ووجيان في حدود عام ١٣٥٠م كما تحتوي بعض الدراسات لكتاب غربيين أيضا على إشارات لوفود عربية جاءت من مكة والمدينة بعضهم جاء إلى الصين من أجل الدعوة ، والبعض جاء في مهمات دبلوماسية رسمية[٣٢] .

وتؤكد مصادر أسرة مينغ والمصادر التي تلتها أن أربعة رجال من شبه الجزيرة العربية جاءوا إلى الصين أثناء حياة الرسول (ص) بغية نشر الإسلام بها ، وقد استقر أولهم في Quang Zhou ، بينما استقر الثاني Yang Zhou وانتهى المقام بالصحابيين الثالث والرابع بـ Quang Zhou[٣٣] . ونعتقد ويعتقد مؤرخون صينيون معاصرون أن قبور الصحابة الأول والثالث والرابع معروفة بالمدن التي حلوا بها حيث يقوم المسلمون بزيارتهم خلال مواسم الأعياد الإسلامية ، أما قبر الصحابي الثالث فلم يعثر عليه إلا مؤخرا في مدينة Yang Zhou وقد وجد بداخل ذلك القبر كأس زرقاء مكتوب عليها بالعربية (الله أكبر)[٣٤] . وبناء على هذا الاكتشاف يعتقد الباحث الصيني Tshu Jiang من متحف Yang Zhou أن الإسلام وصاحب القبر جاءا إلى الصين خلال

حكم الإمبراطور Gao Zu (٦١٨ ـ ٦٢٦م)[٣٥] ، ويتفق كتاب تاريخ فوجيان مع هذا الرأي ، إذ يحدد هذا الكتاب ذات الوقت لوصول أول بعثة دينية من شبه الجزيرة العربية إلى الصين[٣٦] .

على كل حال لا يزال الجدل في الأوساط الأكاديمية الصينية دائرا حول التاريخ الحقيقي لوصول هؤلاء الرجال ، فبينما يذهب باحثون صينيون إلى أن هذه القبور ربما تكون قد ظهرت بعد انتهاء فترة أسرةتانغ مشيرين إلى أنه لا يوجد أي دليل أثري داخل هذه القبور يمكن إعادته لفترة أسرة تانغ[٣٧] ، يؤكد أساتذة آخرون مثل السيد Lui Ro Li أستاذ الفنون الجميلة بجامعة نانجين الذي زار القبور الواقعة في مدينة Quang Zhou في عام ١٩٨٣م أن قوائم وسراديب وأعمدة تلك القبور هي بحد ذاتها مخلفات أثرية ترجع لفترة أسرة تانغ[٣٨] ، وفي عام ١٩٨٤م اتفق العالم الصيني Yang Hong Shui Wen مع ما ذهب إليه بروفسور Lui وأضاف «أن سراديب القبرين المعنيين تتخذ شكل حدوة الحصان وقوائمها معروفة وتتخذ شكل المغزل ، وأن هذا الأسلوب المعماري الصيني للقبور استخدم خلال عهد الأسرتين الشمالية والجنوبية (٢٦٥ ـ ٥٨٩م)»[٣٩] .

وكنت قد زرت بنفسي القبور الواقعة في مدينة Quang Zhou في يونيو ١٩٩٧م حيث لاحظت أن أعمدة وقوائم القبرين تشبه إلى حد كبير الأعمدة المستخدمة في القبور الصينية الأخرى العائدة لأسرة تانغ الملكية في الصين والمنتشرة في مناطق مختلفة من البلاد[٤٠] .

إنني مع كثير من الباحثين الصينيين أميل إلى أن هذه القبور قد تكون قبور هؤلاء الرجال المجهولين الذين جاءوا من مكة أو المدينة كأول بعثة تبشيرية إسلامية إبان حياة الرسول (ص) ، جاءوا بطلب منه شخصيا أو كمتطوعين لنشر الدين الجديد .

إلا أن مصادر أخرى ترصد أيضا بعثة يبدو أنها ذات طابع رسمي قادمة أيضا من الجزيرة العربية حيث يؤكد القس Findly Andrew ، أنه على الأقل «لنا سجل واحد عن زيارة قامت بها بعثة عربية إلى الصين خلال حياة الرسول (ص) ، حيث قامت تلك البعثة بزيارة البلاط الإمبراطوري في العاصمة Xi An «شيآن الحالية» وبعد انتهاء مهمة البعثة عادت إلى الجزيرة العربية مخترقة وسط آسيا ثم بلاد فارس ووفقا للتقاليد الصينية فإن الإمبراطور أرسل مع البعثة من يدلها على طريق عودتها إلى موطنها[٤١] .

إنني أميل إلى احتمال أن يكون هناك وفد عربي أرسل إبان حياة الرسول (ص) أو تطوع بعض الصحابة للذهاب إلى الصين لتبليغ الدعوة ، علما بأن الرسول (ص) كان قد أرسل في

سنة ٧ هـ الموافق ٦٢٨م ميلادية وفودا إلى ملوك الفرس والروم والحبشة وغيرهم لتبليغهم الدعوة الجديدة[٤٢] .

كما أن الرسول (ص) شخصيا يبدو على دراية بثقافات الصين وحضارتهم وهو الذي حث أصحابه وأمته بطلب العلم ولو في الصين ، وكان الرسول الكريم قد سافر عدة مرات إلى الشام حيث لا بد أنه التقى بتجار صينيين أو عرب وفرس قادمين من الصين[٤٣] ، كما كانت مكة قبل الإسلام تعرف الحرير الصيني الفاخر ومرايات البرونز الصينية ، هذا بالإضافة إلى أن بعض النساء في مكة والمدينة وضواحيها كن يحملن أسماء صينية مثل الاسم «مي» Mei وتعني الكلمة في الصينية الجمال ، ومن المحتمل كما يقول المؤرخ العراقي المخضرم هادي العلوي أن تكون نساء صينيات قد وصلن إلى المشرق العربي في غضون العصر الجاهلي يحملن هذا الاسم فأعجب به العرب واقتبسوه لبناتهم ، وكانت حبيبة النابغة الذبياني بهذا الاسم[٤٤] .

كما لا يفوتنا أن نذكر أن أبو زيد الحسن السيرافي نقل عن ابن وهب بني هبار بن الأسود القرشي الذي خرج من البصرة إلى الصين في ٣٥٨ هـ الموافق ٨٧١م ، أنه التقى ملك الصين الإمبراطور Yi Zong (٨٥٩ ـ ٨٧٣م) وأن ملك الصين عرض عليه صور بعض الأنبياء «مثل نوح في السفينة وموسى وعيسى على حماره والحواريون معه ثم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه محدقون به في أرجلهم نعال عربية» وكان المسعودي نفسه قد نقل خبر بن وهب عن أبو زيد السيرافي[٤٥] إن رحلة بن وهب القرشي رحلة حقيقية ، كما أن المرجع التي نقلت عنه كالسيرافي في كتابه القيم أخبار الهند والصين ، والمسعودي في مروج الذهب ، مراجع رصينة وجادة وموثوق بها ، فمن أين جاء الصينيون بصورة الرسول الكريم ، هل كان ذلك عن طريق المشاهدة المباشرة أم عن طريق وصف التجار والمبعوثين العرب لرسولهم الكريم ، وكان الصينيون في ذلك الوقت مولعين بالرسم والتصوير كعادتهم اليوم ، وقد أشار ابن بطوطة إلى هذه العادة .

أما لماذا أغفلت المصادر العربية ذكر هذه البعثة التي قدمت إلى الصين إبان حياة الرسول الكريم ، نقول إن المصادر العربية أغفلت أيضا أحداثا هامة في مسيرة العلاقات الصينية العربية ، مثل تجاهلها لخبر إرسال الخليفة أبو جعفر المنصور مساعدات عسكرية إلى أمير منطقة Kuang-Ping الأمير Yu - Dai Zong Li (äÍÕáá ÇÑæØÇÑÈãÅ ïÚÈ ÇãÍÝ ÍÈÕÃ) في حوالي عام ٧٥٦م وذلك لاستعادة عاصمتيه شيآن ولو يانغ[٤٦] .

وهكذا نرى أن أول نداء عربي للاهتمام بالصين كان قد خرج من منطقة شبه الجزيرة العربية

على لسان رسولنا الكريم ، وكما يبدو أن أول بعثة عربية ثقافية للصين كانت أيضا من شبه الجزيرة العربية .

واصل البلاط الصيني مراقبته للأحداث في شبه الجزيرة العربية عن كثب إذ يشير كتاب تاريخ أسرة تانغ القديم إلى تزايد قوة المسلمين في شبه الجزيرة العربية وتقدمهم تجاه المدائن يقول هذا المصدر «جمع هذا الرجل عددا كبيرا من الناس وعبر بهم النهر (غالبا دجلة) واستطاع بجيشه الكبير أن يهزم الفرس والروم»[٤٧] .

وفي الوقت الذي كان البلاط الصيني يراقب الأحداث ويقيم طبيعة القوى الجديدة الناهضة في جزيرة العرب يبدو أنه أيضا قرر عدم البدء في عداء حكام مكة الجدد وعلى الأقل فضلت القيادة الصينية الانتظار وعدم التورط في عداء القوى الجديدة رغم النداءات المتكررة من القوى العظمى في ذلك الوقت (فرس وروم) وأيضا من جيرانهم المباشرين في آسيا الوسطى ، إلا أن المصادر الصينية تحدثنا بأن التغيير العنيف الذي انتظم شبه الجزيرة العربية قد وصل أثره إلى الصين ، إذ تؤكد كل من المصادر الصينية والعربية على وصول سفارة فارسية أرسلها ملك الفرس «يزدجرد» إلى البلاط الصيني تطلب العون العسكري ضد العرب وكان ذلك سنة ٦٣٨ ميلادية الذي تزامن مع فترة حكم الإمبراطور الشهير "Zong Tai" (٦٢٦ ـ ٦٤٩م)[٤٨] .

بعد خمس سنوات من خبر تلك البعثة الفارسية شوهدت بالبلاط الصيني بعثة رومانية أخبرت الإمبراطور (بأن العرب قد هزموهم وأجبروهم على دفع الجزية)[٤٩] ، وفي سنة ٦٤٢ ميلادية وقف ملك الفرس يزدجرد وقفته الأخيرة ضد العرب المسلمين الذين تمكنوا من هزيمته هزيمة ساحقة معلنين نهاية الأسرة «الساسانية» التي سيطرت ولمدة طويلة على بلاد فارس وجزء من بلاد العرب ، وما يهمنا هنا أن قيام كل من الإمبراطورية الفارسية والرومانية بإرسال البعثات وطلب العون العسكري من الصين قد دق عاليا ناقوس الخطر في البلاط الملكي الصيني منبها إلى خطورة القوى الأيديولوجية والعسكرية الجديدة الناهضة في شبه جزيرة العرب ، بعد سنوات قليلة من انهيار الامبراطورية الفارسية وأفول شمس الأسرة الساسانية أرسل «فيروز» ابن الإمبراطور الفارسي يزدجرد (تطلق عليه الحوليات الصينية اسم (Pi-Lu-Ssu) في عام ٦٥٠م طلبا عاجلا لإمبراطور الصين «Gao Zong (٦٤٩ ـ ٦٨٣م)» يطلب مددا عسكريا صينيا ضد العرب المسلمين ، ولكن الصينيين لم يستجيبوا لمناشدته العاجلة بإرسال قوات متعللين ببعد المسافة بين الصين وبلاد فارس[٥٠] .

يقول "Marshall Broom Hall" في كتابه «الإسلام في الصين (لم يسد الصينيون آذانهم كلية إزاء طلب فيروز ابن الإمبراطور الفارسي المهزوم بإرسال الدعم العسكري إذ أنهم أوفدوا بعثة إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان ، وذلك من أجل المرافعة عن قضية الإمبراطورية الفارسية التي أفلت شمسها وحتى لا يكون ذلك مصير الصين»[٥١] ، ويبدو لنا أنه كنتيجة لتلك البعثة الصينية فإن الخليفة عثمان بن عفان والذي كان ما يزال في أوج قوته قد أرسل أحد قادته الكبار ومعه رد رسمي إلى البلاط الصيني وقد استقبل ذلك القائد الإسلامي استقبالا لائقا بسيانفو Sianfu وكان ذلك سنة ٦٥١ ميلادية التي توافق العام الثاني لحكم الإمبراطور (Gao Zong)[٥٢] .

ويحفظ لنا كتاب تانغ القديم أول سجل لوفد دبلوماسي من شبه الجزيرة العربية ، يقول كتاب Old Tang Shu «في سنة ٦٥١ ميلادية قام ملك تاشي Ta- Shi ولأول مرة بإرسال مبعوث محمل بالهدايا إلى بلاط الصين معلنا أن العرب قد انتظموا تحت إمرة ملك واحد قبل ٣٤ عاما تعاقب خلالها ثلاثة ملوك[٥٣] ، ويعطي نفس المصدر السابق تفاصيل أوفر ويقول : «العرب قوم فارعو الطول وجوههم ملتحية ونساؤهم جميلات ولهم لغتهم الخاصة بهم ، وهم يربون الإبل والخيل وسيوفهم تمتاز بأنها حادة ، وهم شعب مقاتل شجاع وأراضيهم صحراوية لا يمكن زراعتها وطعامهم الرئيسي لحوم الإبل وألبانها بالإضافة إلى الأرز وبعض أنواع الأطعمة الأخرى ، وقد تمكنوا في الفترة من ٦٦١ ـ ٦٦٣ ميلادية من هزيمة الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية الشرقية ، كما قاموا بإرسال أكثر من ٠٠٠ , ٤٠٠ مقاتل لغزو بلاد الهند حيث تمكنوا من فتح كثير من أرجائها»[٥٤] .

وتذكر الحوليات الصينية التي تغطي ١٥٠ عاما (٦٥١ ـ ٨٠٠م) خبر أربعة وثلاثين سفارة عربية إسلامية إلى بلاد الصين تمتد من فترة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وجزء من العباسيين (٧٥٠ ـ ٨٤٧ ميلادية) حيث أوفد في تلك الفترة كل من أبي العباس المنصور ، المهدي ، الهادي وهارون الرشيد بعثات إلى الصين ، وفي هذا الصدد فإن موسوعتي Tang Shu و- Ce- Fu Yuan- Gui الإمبراطوريتين تذكران أن عدد السفارات العربية الإسلامية إلى الصين خلال فترة الدولة الأموية بلغ سبع عشرة سفارة بالإضافة لخمس عشرة سفارة أوفدتها الدولة العباسية وسفارتين أخريين أرسلت إبان حكم الخليفة عثمان بن عفان[٥٥] ، ويبدو أن الدبلوماسيين القادمين في سفارات عام ٦٥٥م كانوا أيضا من شبه الجزيرة العربية ، ومنذ ذلك التاريخ ٦٥١م

وحتى نهاية أسرة تانج تدفقت عشرات الوفود الدبلوماسية العربية إلى الصين ، كما أنه نتيجة للاستقرار السياسي بالصين إبان فترة حكم أسرة Tang التي امتازت بالسلم والهدوء والتماسك لفترة امتدت لأكثر من قرنين من الزمان شهد خلالها الجانبان الصيني والعربي تبادلات ثقافية وعلمية ثرة ، وكان العرب في هذه الفترة قد أصبحوا قوة دولية عظمى وحلوا محل الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية ، كما أدرك الجانبان العربي والصيني أنهما أصبحا القوتين العظميين الوحيدتين في العالم وتجنبا قدر استطاعتهما الدخول في صراعات ومواجهات لا يستفيد منها أحد بل سعى الطرفان للاحتفاظ بعلاقات ودية تعود بالمنفعة لكليهما وهكذا وجد العرب الصينيون أنفسهم المسيطرين الوحيدين الحقيقيين على الطرق التجارية الهامة والممرات المائية الاستراتيجية في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي .

كان نقل العاصمة العباسية إلى بغداد حدثا تجاريا وسياسيا هاما فهي بعيدة عن خصومهم الروم الذين اتخذوا من البحر المتوسط مسرحا لتجارتهم ، كماأنها قريبة من أصدقاء العباسيين الفرس الذين ساهموا في الصراع من أجل الوصول إلى السلطة كما تطل بغداد على الخليج العربي والمحيط الهندي حيث تمتد بلاد فارس والهند وسرنديب وأندونيسيا والصين[٥٦] ، وفي الواقع ساهم نقل العاصمة إلى بغداد في تنشيط الموانىء الإسلامية على الخليج العربي كميناء الأبله وسيراف وموانىء عمان التي كانت تلعب دورين مزدوجين باعتبارها موانىء للتصدير والاستيراد ومحطات لتخزين البضائع الواردة من الهند والصين وأفريقيا ، كما ساهم إنشاء بغداد في زيادة حجم التجارة العربية مع الموانىء الصينية الأربعة الرئيسية "Hang Zhou" ، "Guang Zhou" ، "Yang Zhou" ، "Quang Zhou" كما أن الخليفة المنصور نفسه كان جادا في تقوية علاقاته مع الصين وذلك لإدراكه للأهمية السياسية والاقتصادية للشرق الأقصى وخصوصا الصين ، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ أبو جعفر الطبري عندما قام الخليفة المنصور بوضع حجر الأساس لبغداد لتكون عاصمة جديدة للخلافة العباسية وكان ذلك سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢م قال «هذا دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء»[٥٧] ، وكان هناك عامل هام ساعد على تطوير التبادل التجاري بين الصين والعرب وهو السياسة الاقتصادية الرشيدة لأسرة تانج Tang التي كانت تحكم الصين ، وكان أساس تلك السياسة حماية حقوق التجار العرب والأجانب ، واحترام معتقدات وثقافات الآخرين ، في هذا الصدد يذكر سليمان التاجر السيرافي «أن بخانفو رجل مسلم يوليه صاحب الصين وذلك إن كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان

المسلمين ، وأن التجار العراقيين لا ينكرون في ولايته شيئا من أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الإسلام»[٥٨] .

إن الظروف الجديدة لبناء بغداد في عام ١٤٥هـ الموافق ٧٦٢م[٥٩] والعطف الذي كان يلاقيه تجار ومواطنو شبه الجزيرة العربية من حكام أسرة تانغ جعلت من العلاقات التجارية بين الخليج العربي والصين أول مظهر من مظاهر العصر الذهبي الذي ساد هذا الطريق التجاري الدولي الهام في زمن العباسيين ، فانطلقت رحلات أبناء الخليج العربي من مراكز التجمع التجاري والموانىء على سواحل الخليج نفسه من البصرة وسيراف والبحرين تمخر عباب البحر عبر مضيق هرمز قاصدة موانىء ساحل عمان لتتوقف في صحار ومسقط ومن هنالك إلى الصين .

ونستطيع بسهولة أن نرصد الحركة التجارية وحركة النقل المستمرة من الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية إلى الصين في كثير من المصادر العربية والصينية العائدة إلى تلك الحقبة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر يقول المقدسي عن صحار «صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجمل منه عامر أهل وذو يسار دهليز الصين وخزانة الشرق[٦٠] ، المقدسي أيضا يقول عن عدن ميناء شبه الجزيرة العربية الهام «أما عدن فهي دهليز الصين ومعدن التجارات[٦١] ، ويقول خردذابه «توفي عام ٩١٢م» أيضا عن عدن هي ميناء اليمن العظيم وملتقى تجارات الهند والصين وبها متاع الهند والصين[٦٢] . كما أشار أيضا ابن رسته في الأعلاق النفيسة (ألفه بين عامي ٩٠٢ ـ ٩١٢م) لهذا الميناء فقال «إن بها مرفأ مراكب الصين وشلاهيط[٦٣] ، ونلاحظ أن المقدسي قد ربط كل إقليم شبه الجزيرة العربية بالتجارة وطرقها مع الصين ، يقول المقدسي وهو يتحدث عن هذا الإقليم «والتجارات في هذا الإقليم مفيدة وأن بها فرضتي الدنيا وسوق منى والبحر المتصل بالصين وجدة والجار واليمن ، وإلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر[٦٤] ، ثم يعدد المقدسي صادرات وواردات الموانىء الخليجية ويختم وصفه للتجارة في هذا الإقليم فيقول «وبتجارات الصين تضرب الأمثال»[٦٥] .

كما ربطت المصادر العربية بشكل واضح بين موانىء شبه الجزيرة العربية والصين إذ يقول ابن رسته «والبحر الذي يركبون منه من البصرة إلى الصين بحر واحد وماء واحد متصل إلى الصين والهند [٦٦] ، ويقول المسعودي في كتابه التنبيه والأشراف (البحر الحبشي هو بحر الصين والسند والهند والزنج والبصرة والأبله وفارس وعمان والبحرين والشحر واليمن[٦٧] ، ويؤكد بن خردذابه ذات المفهوم والمنظور الهام بل يزيد عليه ليؤكد أن تجارة الصين مع العرب لابد أن تمر

بالخليج العربي ، تبدأ من الخليج وشبه الجزيرة العربية وتنتهي هناك أيضا»[٦٨] يقول ابن خردذابه «كان التجار اليهود يخرجون من الفرما (بالقرب من بورسعيد الحالية) في مصر ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم ثم يركبون البحر الشرقي (البحر الأحمر) من القلزم إلى الحجاز وجدة ثم يمضون إلى السند والهند والصين ، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور ثم يعودون إلى القلزم ثم الفرما ثم الفرات ثم إلى بغداد ثم يركبون دجلة إلى الأبله إلى عمان إلى السند والهند والصين كل ذلك متصل ببعضه البعض»[٦٩] .

أما ابن الفقيه فيقول في مختصر البلدان (من أراد الصين أو عدن أو شلاهيط أخذ من ناحية المغرب على اليمامة وعمان ومن أراد السند أخذ من ناحية فارس على سيراف[٧٠] .

«الإصطخرى صاحب كتاب الأقاليم (توفى عام ٩٥٧م) يربط أيضا بين سواحل الخليج العربي والصين عندما يقول «القلزم ينتهي إلى الأبله ، يطوف بحدود ديار العرب إلى عمان ثم يقطع عرض دجلة وينتهي إلى الساحل إلى مهروان إلى سيراف ثم إلى سواحل هرمون ثم ساحل السند وينتهي إلى حد ديار الإسلام إلى الملبان ثم ينتهي إلى سواحل الهند وينتهي إلى سواحل التبت فيقطعها إلى أرض الصين[٧١] .

أما عن المسالك والطرق التجارية السالكة بين الصين وشبه الجزيرة العربية والخليج فإن المصادر العربية والصينية تعطي تفاصيل أوفر تتعلق بهذه المسالك .

وتذكر هذه المصادر أنه كان هناك ثلاثة طرق بحرية رئيسية بين الصين والخليج العربي خلال فترتي أسرة تانغ والممالك الخمسة ، وقد أطلق باحثون معاصرون على هذه الطرق الحرير البحري ، طريق الخزف البحري ، وطريق البخور البحري[٧٢] ، على كل حال تجتمع لدينا حصيلة هامة من المعلومات حول الطرق الرئيسية بين الخليج العربي والصين أوردها سليمان السيرافي (٨٥١م) خردذابه في عام ٩١٢م وبرزك (القرن العاشر) المسعودي ٩٥٧م .

وحسب هذه المصادر فإن رحلات أبناء شبه جزيرة العرب التجارية البحرية إلى الصين تبدأ من البصرة أو سيراف أو البحرين حيث تسير المراكب إلى موانئ عمان للتزود بالمياه وتشحن البضائع في صحار ومسقط ، ومن عمان تسلك هذه السفن طريقين أحدهما تسير عليه بعض السفن مباشرة عبر المحيط الهندي إلى (كولم ملى) وهي (كويلون الحالية) في الهند وتفضل هذا الطريق السفن الكبرى التي تقصد الصين مباشرة ، أما الطريق الثاني من مسقط وصحار فكان يسير بحذاء الساحل مارا بأهم مراكز التجارة العربية في بلاد السند مثل الديبل والمنصورة

وتسلك هذا الطريق السفن المتوسطة الحجم التي ترغب في التبادل التجاري مع تلك الموانئ وحمل منتجاتها إلى الصين ، لتلتقي مرة أخرى مع سفن الطريق الأول عند كولم ملى محطة الإبحار إلى الصين[٧٣] .

المصادر العربية ترصد أيضا طريقين تسلكهما السفن الخليجية إلى الصين بعد وصولهم إلى كولم ملى ، الأول تتابع فيه السفن المتوسطة الطواف حول جنوب الهند إلى جزيرة سرنديب (سيلان) ثم إلى ملقا (الملايو) ثم أخيرا إلى الصين[٧٤] ، أما الطريق الثاني فتسلكه السفن الكبيرة التي تتابع إبحارها مباشرة من كولم ملى إلى سرنديب ثم نيكوبار الحالية ثم إلى كله بار بالساحل الغربي لشبه جزيرة ملقا ، وتسلك سفن الخليج العربي الكبيرة والصغيرة من ميناء كله بار مرة أخري طريقا واحدا إلى بلاد الصين ، حيث تعبر مضيق ملقا باتجاه (أبواب الصين) وهي عبارة عن جبال في البحر تمر بينها المراكب ، ومن هناك إلى خانقو "Guang Zhou"[٧٥] وتعليقا على خانقو خاتمة مطاف رحلات سفن الخليج العربي يقول المسعودي «خانقو وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب إلى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة تدخل هذا النهر سفن التجارة الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج»[٧٦] .

ويحدثنا برزك (القرن العاشر الميلادي) حول رحلة العودة مشيرا إلى أن السفن تأخذ نفس الطريق حتى تصل ميناء راسبوت (بين مرباط والشحر) على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية أو على أية نقطة أخرى ملائمة على ساحل الشحر أو المهرة ثم تسير السفن شرقا على طول الساحل حتى تصل إلى خليج عمان[٧٧] ، وينقل جورج حوراني عن السيرافي صاحب أخبار الهند والصين والمسعودي أن رحلة الذهاب والعودة من الصين على هذا المنوال تستغرق عاما ونصف العام بما فيها زمن الإبحار والانتظار في الموانئ[٧٨] .

هذا ما حفظته لنا المصادر العربية من حيث موقع وأهمية مدن وموانئ شبه الجزيرة العربية والخليج العربي في التجارة مع الصين ، والطرق والمسالك التي كان يسلكها عرب الخليج طوال فترة أسرة تانغ والممالك الخمس في الصين ، وأول ما يلفت الانتباه ذلك الربط المحكم الذي عكسته المصادر العربية إبان تلك الفترة بين منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج والديار الصينية ، حتى بدت وكأنها كلها تابعة لإقليم واحد .

إلا أن المصادر الصينية هي الأخرى نجدها قد ربطت أيضا وبقوة بين منطقة شبه الجزيرة العربية

والخليج وموانىء ومدن الصين فالعالم الجغرافي الصيني المعروف Chia-Tan(٧٣٠ـ ٨٠٥م) يقول في كتابه الطريق إلى البلدان الأجنبية عبر البحار إلى "Guang Zhou"وهو يصف الطريق من الصين إلى منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية يقول «تقع في غرب الطريق البحري الممتد من "Guang Zhou"إلى بلاد العرب عند الطريق الجنوبي بلاد سان لان» إقليم بالقرب من زيلع في الصومال علي الضفة الجنوبية لخليج عدن» وإذا اتجهت شمالا ثم شرقا ومررت بعدة بلدان وبعد زهاء(٣٦) يوما فإنك قد تصل إلى "Mu Xun" صحار في عمان «وإذا سافرت من Mu Xun في اتجاه الشمال الشرقي وقضيت أحد عشر يوما فإنك تصل إلى ميناء Wu La (الأبله) عند مصب نهر الفرات ، وإذا مضيت باتجاه الشمال الغربي وقطعت ألف لى «لى= نصف كيلو متر» برا ومررت بمدينة Mo-Luo (البصرة) فإنك تصل إلى Bang-Da (بغداد) عاصمة الخليفة[٧٩] .

Chia-Tan عدد طريقا بحريا آخر يبدأ من قوانجو إلى ملقا ثم غربا إلى عدن على البحر الأحمر[٨٠] .

ومن الوثائق الصينية المهمة حول المعرفة الجغرافية للصين بمنطقة شبه جزيرة العرب في القرن الثامن الميلادي العمل الجغرافي الذي أكمله الجغرافي الصيني Kia-tan ما بين عام ٧٨٥و٨٠٥ (دليل ملاحي) والذي يصف فيه الطريق البحري من Guang Zhou في جنوب الصين إلى الخليج العربي ، ويبدأ Kia-tan وصفه للطريق من الصين حتى الأبله ليقول (من الأبله في اتجاه الغرب مسيرة يوم واحد يصل المسافر إلى Wu-Ia (صحار) ثم على القوارب مسيرة يومين على نهر الفرات يصل المسافر إلى Mo-Lo(هرمز القديمة) حيث يقيم العرب سوقا هاما[٨١] .

المصادر الصينية تحدد أيضا طريقا آخر أطلقت عليه طريق البخور البحري ويبدأ هذا الطريق من مدينة Yang Zhou الحالية وينتهي في صحار في عمان[٨٢] .

المسعودي الذي يؤكد باستمرار أن سفن الصين كانت تصل إلي الخليج قبل وإبان الفترة العباسية يقول «وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأبله والبصرة وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع التي ذكرنا إلى ما هناك»[٨٣] .

ونلاحظ أن وصف المسعودي للمواقع التي تصلها سفن الصين يتوافق إلى حد كبير مع وصف المصادر للطرق والموانىء العربية المعروفة لديهم في الخليج .

ويبدو أن معلومات الصينيين حول الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية لم تكن قاصرة على

كتب الجغرافيا ، بل إن رحالة صينيين زاروا الخليج ومنهم Du Huan ابن أخ المؤرخ الصيني المعروف Du Yu (٧٣٥ - ٨١٢م) مؤلف كتاب (Tung Dian) ، وكان Du Huan قد وقع في الأسر إبان معركة تالاس بين العرب والصينيين في يوليو ٧٥١م ، وأخذ إلى الكوفة العاصمة العباسية آنذاك واستقر في البلاد العربية لعشرة أعوام وعاد إلى الصين على ظهر سفينة تجارية صينية أبحرت من إحدى موانئ الخليج العربي عام ٧٦٢م ليكتب كتابه المشهور (Jing Xing Ji) «سجلات السفر» حيث وصف الحياة في الكوفة والخليج وأجزاء أخرى من العالم العربي[٨٤] .

كما أرسل حكام أسرة تانغ رحالة آخر للبلاد العربية وهو Da Xi Hong Tong ، ويقول المؤرخ الصيني المعاصر Zhang Guang Da إن Du Huan و Da Xi Hong قد زاروا ٣٦ دولة ومن ضمن هذه الدول أجزاء من شبه الجزيرة العربية[٨٥] .

ولم يكن الرحالة الصينيون هم وحدهم الذين يجوبون المنطقة في ذلك الوقت فقد سبق الرحالة الخليجيون رصفاءهم العرب الوصول إلى الصين وتسجيل ملاحظاتهم عنها ، فقبل أكثر من مائة عام من رحلة السيرافي المشهورة قام الرحالة العماني ابن عبيدة عبدالله بن القاسم منطلقا من الساحل العماني زهاء عام ٧٥٣م بزيارة الصين[٨٦] .

ونعتقد أن ابن عبيدة لم يكن رحالة فقط فلا بد أنه كان تاجرا أيضا ، إذ ترصد المصادر العربية أسماء الكثير من التجار والأسر الخليجية الذين امتلكوا السفن للتجارة مع الصين والهند مثل محمد بن الريدوم السيرافي وجوهر بن أحمد ، وأحمد عبدالصمد أخوي عبدالرحيم بن جعفر السيرافي وعبهره الربان[٨٧] . وأبو بكر أحمد السيرافي الذي امتلك سفنا ضخمة للتجارة مع الصين وكانت الوثائق الصينية قد ذكرت بعض كبار التجار الأثرياء مثل التاجر العماني المشهور النزار بن ميمون وهو من أغنياء البصرة وكان يقوم برحلاته في الغالب من البصرة[٨٨] . ولابد أنه كان يمتلك سفنا .

وبمثل ما ازدهرت في تلك الفترة موانئ الخليج العربية وشبه الجزيرة العربية كمدن وصحار ، مسقط ، البحرين الأبله ، البصرة وغيرها ، نتيجة للتجارة مع الصين والهند نجد أن موانئ صينية مثل Hang Zhou, Guang Zhou, Yang Zhou, Quang Zhou قد ازدهرت أيضا نتيجة للانتعاش التجاري بينهم وبين موانىء الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية وكان التجار الخليجيون يستقبلون بكل الاحترام والترحيب في كل هذه الموانىء ، يقول سليمان السيرافي في هذا الشأن «كانت الرقابة الصينية على السلع الواردة على سفن الخليج دقيقة فعندما يدخل

التجار من البحر قبض الصينيون متاعهم وصيروه في البيوت والمخازن وضمنوه إلى ستة أشهر إلى أن يدخل آخر البحريين ثم يؤخذ من كل عشرة ثلاثة وسلم الباقي إلى التاجر وما احتاجه السلطان أخذه بأغلى الأثمان ولم يظلم فيه أحد ومما يأخذه السلطان الكافور ، والكافور إذا لم يأخذه السلطان يساوي نصف الثمن خارجا»[٨٩] .

وكانت الصادرات التي تحملها سفن الخليج العربي إلى الصين تتكون من منتجات الخليج من المنسوجات الغالية المصنوعة من التيل والقطن والصوف والسجاد وخام الحديد ، سبائك الذهب والفضة واللبان وماء الورد ودم الأخوين واللؤلؤ الذي كان تشتهر به إلى جانب عمان البحرين ، وكان الإقبال قد زاد على لؤلؤ البحرين لجودته حتى حملته السفن إلى أقاصي الهند والصين وأصبح مصدرا هاما من مصادر الربح والثروة لهذا المركز التجاري الهام[٩٠] .

أما أهم المنتجات التي كان يستوردها عرب الخليج من الصين فقد كانت سلع الحرير ، الخزف ، المسك ، والعود ، والخولنجان ، والسروج ، والدار الصيني والذهب والفضة واللؤلؤ[٩١] .

والجدير بالذكر أن الكثير من المنتجات الخليجية كاللبان العماني ودم الأخوين أصبحت في هذه الفترة جزءا أصيلا من الصيدلية الصينية ، كما أصبحت هذه المنتجات جزءا من مكونات الأدوية الصينية التقليدية وقد ذكر هذه الحقيقة الصيدلي الصيني لي شي تشن الذي عاش في فترة أسرة تانغ ، في كتابه الشهير بن تاسو قانغ مو[٩٢] .

ونلاحظ أن تجار مسقط استطاعوا بنهاية القرن التاسع الميلادي أن يخلقوا علاقات تجارية ودية بنيهم وبين سكان مدينة Guang Zhou بل إن الكثير من هؤلاء التجار اتخذوا زوجاتهم من الصين[٩٣] .

إلا أن هذه التبادلات الودية والتجارية والثقافية الكثيفة بدأت في التدهور والتراجع منذ منتصف القرن التاسع الميلادي عندما بدأ عهد من الاضطرابات وعدم الاستقرار في الصين وقد وصل الاضطراب ذروته في عهد الإمبراطور Xi Zong (٨٧٣ ـ ٨٨٨م) وذلك عندما هاجم المتمرد Chao Huan في عام ٨٧٨م Guang Zhou محدثا مذبحة كبيرة وسط التجار الأجانب ومن ضمنهم تجار من الخليج وعمان ، ويؤكد أبو زيد الحسن السيرافي أن أكثر من ١٢٠ ألفا من التجار المسلمين واليهود والنصارى قد قتل في تلك الأحداث الدامية ، كما فرض المتمردون على التجار رسوما ضريبية باهظة ليس لها سند قانوني كما صادروا بعض ممتلكات التجار واستولوا عليها[٩٤] .

والجدير بالذكر أن معلومات المصادر العربية الأخرى كالمسعودي ، وابن الأثير الذي أورد هذه الأحداث تحت أحداث عام ٢٦٤هـ الموافق ٨٧٧م تتطابق إلى حد كبير مع الروايات الصينية المحفوظة في كتاب تاريخ أسرة تانغ[٩٥] .

أجبرت المعاملة البربرية الجديدة للمتمرد Chao Huan تجار الخليج العربي على التوقف عن المجيء إلى الصين وأخذت سفنهم التجارية تقابل السفن الصينية في Kalah على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملقا ، كما توقفت السفن الصينية أيضا في تلك الفترة المضطربة من الذهاب إلى مسقط[٩٦] ويبدو أن أسرة تانغ الحاكمة قد فشلت بعد ذلك التمرد في السيطرة على أحوال البلاد وتدهورت أحوالها إلى أن حلت نهايتها عام ٩٠٧م .

وكانت المصادر العربية أيضا قد تابعت سنوات الضعف التي زامنت فترة أسرة تانغ الأخيرة بعد هذا التمرد الدامي حيث يقول أبو زيد الحسن السيرافي وهو يصف الأيام الأخيرة لأسرة تانغ بعد هذا التمرد الرهيب «فصارت بلاد الصين على سبيل ما جرت عليه أحوال الأكاسرة عند قتل الاسكندر لدارا الكبير وقسمته أرض فارس على ملوك الطوائف ، وصار بعضهم يعضد بعضا للمغالبة بغير إذن الملك ولا أمره فإذا أناخ القوي منهم على الضعيف تغلب على بلاده واجتاح ما فيه» ، ويرصد المسعودي أيضا تلك الحالة فيقول : «وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته ، كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلبوس المقدوني دارا بن دارا ملك فارس ، ولم يتأت له المسير إلى سائر أعماله ، وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته[٩٧] .

وكما كان تأثير سوق الصين العظيم المزدهر إبان فترة أسرة تانغ المستقرة كبيرا على موانىء الخليج العربي عمان مسقط البحرين ، سيراف وغيرها من حيث الازدهار والثروة فقد كان تأثير فقدان هذا السوق في سنوات الاضطرابات أيضا كبيرا ، إذ تشير المصادر العربية ومنها كتاب رحلة السيرافي إلى فقدان الكثير من الأسر الغنية بسبب تجارتها مع الصين لمصادر ثروتها وازدهارها ، فهذا هو أبو زيد الحسن السيرافي يحدثنا عن تأثير انقطاع التجارة مع الصين بسبب أحداث Guangzhou فيقول : «ومنع البحر جانبه ووقع الفناء بالمقدور الجاري من المدبر تبارك اسمه في الربانية والإدلاء بسيراف وعمان»[٩٨] .

على كل حال لم يكن الوضع في المنطقة العربية بأحسن منه في الصين فالخلفاء العباسيون كانوا بدورهم يواجهون منذ حوالي عام ٨٥٠ صعوبات جمة إذ بدأت بعض أجزاء دولتهم في

الانفصال ، وحدثت ثورات دامية في بلاد ما بين النهرين وقاد الزنج «ثورة عارمة هاجموا خلالها موانىء الأبله والبصرة وفصلوا بغداد عن الخليج العربي ، كما أصبحت السند منذ عام ٨٧١م مستقلة عن الخلافة العباسية ، أما منطقة شرق العراق فقد كانت تموج بصراعات وثورات عنيفة وذلك منذ العام ٨٩٩م كما دمرت منطقة سيراف بعد أن ضربها زلزال عنيف في عام ٩٧٧م[٩٩] .

على كل حال تعاقبت بعد سقوط أسرة تانغ الملكية على حكم الصين في الفترة من ٩٠٦ ـ ٩٦٠م خمس أسر ، أي أنه في أقل من ٦٠ عاما تعاقبت على حكم البلاد خمس أسر ملكية وهو بطبيعة الحال مؤشر واضح على سوء الأحوال واضطراب البلاد ، إلا أنه رغم الفوضى وعدم الاستقرار الذي لازم هذه الفترة فقد استمر التبادل الدبلوماسي والتجاري بين الصين ومنطقة شبه الجزيرة العربية إذ أوردت بعض المصادر ذكر رجل من عمان قام برحلة إلى الصين بعد عام ٩٢٠[١٠٠] هذا إلى جانب أن المصادر الصينية رصدت بشكل عام استمرار التبادل الودي بين الصين والمنطقة العربية ، إذ يتحدث الكاتب الصيني Chua Ju Kua عن وفد عربي يقوده - Piu Ko - San (ربما أبو الحسن) وصل إلى البلاط الإمبراطوري وقدم هدايا عبارة عن خمس عشرة زجاجة من ماء الورد[١٠١] ، كما تذكر المصادر الصينية أن عام ٩٢٤م شهد قدوم بعثة عربية إلى الصين وذلك خلال فترة حكم الإمبراطور Zhuang Zong[١٠٢] كما أن أسرتي Wu وYue قامتا باستيراد الزيت من بلاد العرب وأعادتا تصديره إلى كوريا[١٠٣] .

إلا أنه سرعان ما حسم الصينيون سنوات الاضطراب هذه في عام ٩٦٠م لتشهد البلاد مرة أخرى أسرة قوية حكمت البلاد لأكثر من ثلاثة قرون وعرفت تلك الأسرة في التاريخ الصيني بأسره سونغ الملكية .

وباعتلاء هذه الأسرة عرش الصين انتهت إحدى فترات التبادلات التجارية والثقافية والدبلوماسية النشطة بين منطقة شبه الجزيرة العربية والصين ليبدأ عصر جديد في تاريخ العلاقات الصينية العربية بشكل عام وعلاقات بلاد الصين مع شبه جزيرة العرب بشكل خاص .

العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والصين إبان حكم أسرة سونغ الملكية ٩٦٠ـ١٢٧٩م

شهدت الفترة الواقعة بين ٩٠٧ ـ ١٢٧٩م كما نعلم قيام حكومتين معارضتين لبعضهما البعض إحداهما هي حكومة أسرة Liao (٩٠٧ ـ ١١٢٥م) وسيطرت على الجزء الشمالي الشرقي من الصين ، والأخرى هي حكومة أسرة سونغ Song التي خضعت لها باقي الأراضي

الصينية وقد كانت حكومة أسرة سونغ بدورها منقسمة إلى بيتين شمالي (٩٦٠ـ ١١٢٧م) وجنوبي (١١٢٧ ـ ١٢٧٩م) . إلا أن حكام أسرة سونغ بشكل عام جاءوا إلى السلطة في وقت كانت فيه علاقات الصين مع العالم ما يزال يشوبها الحذر والتوتر الناتج عن مذابح التجار الأجانب في عام ٨٧٨م ومظاهر الانقسام في الصين وعدم وجود سلطة مركزية قوية وكان عليهم في سبيل إعادة الحيوية للاقتصاد الصيني أن يرسلوا إشارات واضحة إلى العالم الخارجي بأن الأمور قد عادت إلى ما كانت عليه في السابق ، وكان عليهم بشكل خاص إقناع التجار العرب وتجار شبه الجزيرة العربية بأن مناخات العمل التجاري في الصين عادت آمنة وصحية .

في هذا الاتجاه أرسل حكام أسرة سونغ سفارة إلى البلاد العربية في عام ٩٦٦م تحمل رسالة خطية للخليفة العباسي المطيع (٣٢٤ ـ ٣٦٣هـ) الموافق (٩٣٥ ـ ٩٧٣م) وقد قاد الراهب الصيني Hing Kien تلك البعثة وقد سلم هذا الراهب الخليفة خطابا من إمبراطور Kien (يعبر فيه عن آمانيه الطيبة) ، وقد رد الخليفة المطيع بعد سنتين على هذه البعثة (٩٦٨م) بإرسال وفد إلى الصين[١٠٤] .

هذا على الصعيد السياسي ، أما على الصعيد الاقتصادي ، فنلاحظ أن أسرة سونغ قامت ومنذ نهاية القرن العاشر الميلادي بمجهودات جبارة في مجال الدعاية للتجارة الصينية وسط التجار الأجانب خصوصا التجار العرب وذلك من أجل إعادة السيطرة على تجارة الشرق الأقصى بعد فترة الاضطرابات السياسية وعدم استقرار الأوضاع الداخلية للبلاد خلال الفترة الممتدة من ٨٧٤ ـ ٨٨٩م ، كما أن التجار العرب بعد مغادرتهم الصين نتيجة لسوء أحوالها الداخلية استقروا بجزر كله بار على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملقا (سنغافورة الحالية) وربما في جزر Palambag في الجنوب الشرقي من سومطرة بأندونيسيا حيث كانت تصل سفن القادمين من عمان وسيراف ، ويصف القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد كله بأنها بلدة بأرض الهند في منتصف الطريق بين عمان والصين[١٠٥] ، وقام العرب بتطوير هذه الجزر حتى أصبحت مراكز تجارية هامة أخذت السفن التجارية الصينية تزورها وتتبادل معها المنافع ، وكانت تجارة الصين مع تلك الجزر ، وحسبما تذكر المصادر الصينية تشمل سلعا كالذهب والفضة والحرير ، المنسوجات القطنية ، النقود الصينية ، البخور والصندل ، العاج ، قرن وحيد القرن ، المرجان ، العنبر ، اللؤلؤ ، المعادن ، أصداف بعض الحيوانات كالسلاحف البرية والبحرية ، الآلات الموسيقية ، الأبنوس ، القطن وأخشاب البناء[١٠٦] .

بنهاية القرن العاشر الميلادي ازداد حجم التجارة الصينية مع تلك الجزر والتي أصبحت مراكز تجارية مزدهرة بفضل التجار الأجانب خصوصا العرب مما دفع امبراطور الصين إلى إرسال بعثة رفيعة المستوى تحمل تصريحا إمبراطوريا وكان عليه إقناع التجار الأجانب بالعودة إلى الصين والاستقرار بها لممارسة العمل التجاري ، وقد وعد الامبراطور في مرسومه الإمبراطوري بتقديم كل تسهيلات وضمانات ممكنة في سبيل إعادة الحيوية والازدهار للساحة التجارية بالصين[١٠٧] ، وقد نجحت المجهودات الحكومية في إقناع التجار الأجانب بالعودة إلى الصين وسرعان ما انتعش الوضع الاقتصادي للبلاد حيث امتلأت المخازن الإمبراطورية بالسلع المختلفة مما جعل المسئولين يسعون لإغراء المواطنين لشراء السلع على أن يدفعوا مقابلها ذهبا أو أرزا أو خشبا أو سلعا أخرى[١٠٨] .

وهكذا فتحت الدبلوماسية الصينية الجديدة الباب مرة أخرى لرأس المال ورجال الأعمال الخليجيين للعودة إلى الصين وما فعلته الدبلوماسية الصينية في ذلك الوقت هو ما يصطلح على تسميته اليوم بدبلوماسية التنمية .

على كل حال عادت مرة أخرى أبواب الصين على بحر الصين الجنوبي تستقبل مرة أخرى أهازيج البحارة الخليجيين العرب الفرحين بوصولهم إلى المياه الصينية بعد رحلتهم الطويلة والخطرة من الخليج العربي وموانىء جنوب الجزيرة العربية .

وبدأت مرة أخرى الوفود الدبلوماسية الرسمية تتوافد إلى بلاط أسرة سونغ الملكية ، وقد قمت بمساعدة أستاذي المؤرخ الصيني Chen De Zhe اعتمادا على المصادر الصينية بإحصاء ٣٩ سفارة عربية في الفترة من ٩٢٤ ـ ١٢٠٨م ، ومن ضمن السفارات العربية سفارات جاءت من شبه الجزيرة العربية مثل السفارات التي جاءت من (Cang - Tan) أي جدة و Ma- lo - ba مهرة العربي[١٠٩] ، ومنذ عام ١٩٦٨م لم تنقطع وفود التجار والدبلوماسيين العرب إلى البلاط الصيني ، كما تطورت في هذه الفترة أيضا الطرق التجارية فقد فتح العرب والصينيون طريقا بحريا جديدا عبر المحيط الهندي مباشرة ، حيث يبدأ الإبحار على هذا الطريق من Guang Zhou في حوالي شهر نوفمبر وبعد أربعين يوما تصل السفن إلى Aceh سومطرة لتبدأ رحلة طويلة تستغرق شهرين تعبر خلالها السفن المحيط الهندي إلى ظفار وتبحر إلى عدن وبعد أن يحصل التجار على السلع من خليج عدن والبحر الأحمر وأفريقيا يبحرون عائدين في فترة الرياح الموسمية الرطبة مباشرة ، وعندما يعودون في الصيف فإنهم يعملون على تجنب العواصف الاستوائية وذلك بسلوك طرق بحرية منحنية متجهين جنوبا إلى سومطرة كي يعودوا إلى الصين في شهر أغسطس أو سبتمبر[١١٠] .

ونتيجة لتنوع الطرق وسهولة المواصلات بين الصين وشبه الجزيرة العربية في أسرة سونغ الملكية ازدادات معرفة الصينيين بأحوال منطقة شبه الجزيرة العربية ، وتنعكس هذه المعرفة بشكل واضح في العمل الرائع الذي أعده Chou Ju Kua تحت عنوان Chu - Fan- Chi (سجلات البلاد الأجنبية) إبان عمله مفتشا للتجارة الخارجية في فوجيان في عهد أسرة سونغ الجنوبية ، وقد رصد هذا العمل الذي ظهر في عام ١١٧٨م ، بشكل دقيق أحوال الكثير من الأقطار في منطقة شبه الجزيرة ، كما بدأ الكاتب عارفا حتى بالطرق الداخلية في المنطقة فهو يقول : «إذا ما سافرت برا من Ma- Lo-ba (مهره) باتجاه الشمال الشرقي مارا بمدينة Nu-Fa «ظفار» ومدينة Man- Wang «عمان» وBai-Lian البحرين وقطعت أكثر من ١٣٠ فرسخا فإنك تصل إلى Bai-Da «بغداد» إذا سافرت باتجاه الشمال الغربي من المهره على طريق Xi-He «الشحر» Luo-Shi-Mei «اليمن» وسرت زهاء الثمانين فرسخا فإنك تصل إلى Ma-Kia* «مكة»[١١١] هذا المرجع يحوي أيضا معلومات قيمة ومفيدة عن حال بلاد كثيرة في شبه الجزيرة العربية ، فحول مكة المكرمة يقول هذا المرجع : «إذا سافرت حوالي ٨٠ يوما من Ma-Lo -Pa غربا عن طريق البر ، فإنك تصل إلى مكة وهي المدينة التي ولد فيها بوذا» (يقصد الرسول صلعم) كما يوجد بها بيت بوذا «يقصد الكعبة الشريفة» حيث الجدران مصنوعة من الأحجار الكريمة ، هذا المصدر يصف أيضا الحج وكسوة الكعبة وكذلك قبر الرسول (ص)[١١٢] ، وحسب علمنا بأن هذا المرجع أول ما ذكر مكة بالاسم ، بينما اكتفى كتاب تاريخ أسرة تانغ (Tang Shu) بذكر المدينة فقط واسم الرسول الكريم والحجر الأسود[١١٣] .

تحدث هذا المصدر عن صحار تحت اسم Wu-Pa وقال إنها تقع على ساحل البحر ويربطها ببلاد العرب الأخرى طريق بري وبشرة الملك السوداء تميل إلى السمرة ويرتدي عمامة ومعطفا ، ويتبع قوانين ونظم الحياة ودين العرب ، أما عن عمان نفسها فيقول : «إن رئيس قبيلة بلاد Yung Man أو Wang Man يلف جسده بحرير رقيق ويمشي حافي القدمين ، وأهل عمان يعيشون على لحم الضأن والحليب والسمك والخضراوات ، كما يجري إنتاج اللؤلؤ على طول الساحل ، كما توجد الخيول والبقر[١١٤] .

وتظهر مرة أخرى في هذا المصدر أسماء الكثير من بقاع ومدن وموانىء الجزيرة العربية ، حيث يقول Chou Ju Kua إن هذه البلاد تابعة للخليفة ، وتظهر هذه المناطق بأسمائها الصينية على النحو التالي :

حضرموت	Ma-Lo- Ma
إحدى أجزاء الجزيرة العربية	Shi -ho
ربما يكون الشحر	
ظفار	Nu- Fa
صحار	Wu -Pa
سيراف	Ssi - Lien
البحرين	Pai - Lien
عمان	Wong - Li
البصرة	Pi- Ssi - Lo
مكة	Ma-Kia(١١٥)

ويتحدث هذا المصدر الهام عن أهم منتجات شبه الجزيرة العربية التي تصل إلى الصين كالبخور Ju - hiang أو Hun Lu Hiang"ويأتي من بلاد صحار والشحر وحضرموت «حيث يجلب من أعماق الوديان الجبلية ، ويطلق Chau Ju Kua على منطقة مرباط ، صحار ، ظفار اسم (أرض البخور)(١١٦) .

وهكذا نلاحظ أنه في هذه الفترة باتت الطرق أكثر وضوحا والمسالك أكثر أمنا كما اتسعت معرفة الصينيين بالعالم العربي والإسلامي ، كما بدأت في هذه الفترة حركة تجارية نشطة بين موانىء شبه الجزيرة العربية والصين ، وقد ساعد على انتعاش التجارة العربية الصينية كما نعتقد ضم أجزاء هامة من الهند وهي الدولة المجاورة للصين إلى الدولة الإسلامية الكبرى وذلك في حدود عام ١٠١٠م بالإضافة إلى سيطرة الدولة الإسلامية على طريق الخليج العربي وطريق البحر الأحمر ، إن سيطرة الدولة العربية الإسلامية على الممرات المائية الدولية «البحر الأحمر والخليج العربي» في ذلك الوقت سمح للسفن الصينية بحرية حركة واسعة في أو حول موانىء شبه الجزيرة العربية ، فقد كانت السفن الصينية القادمة من الهند أو المبحرة مباشرة من Guang Zhou تنطلق بسلام على طريق الخليج العربي حيث تدور على السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية وربما تشق مياه البحر الأحمر إلى موانىء عدن وعيذاب في شرق السودان ، وتعود ثانية إلى الصين دون أن يعترضها عارض ، هذا على الصعيد العربي ، على الصعيد الصيني نعتقد أيضا أن الإصلاح الذي تم في نظام الضرائب المفروضة على التجار الأجانب قد ساهم في إنعاش حركة الموانىء الصينية واستقطاب عرب الخليج للمتاجرة مع الصين ، فقد أعلن حكام أسرة

سونغ في تلك الفترة عن سياسة ضريبية جديدة تقضي بتخفيض نسبة الضرائب المستحقة على التجار الأجانب في موانىء الصين من ٣٠٪ من قيمة السلع الواردة والمعمول به منذ أيام أسرة تانغ الملكية إلى ١٠٪ فقط من القيمة الإجمالية للسلع الواردة[١١٧] والمتتبع لحركة السوق الصيني في هذه الفترة المزدهرة يلاحظ نشاطا تجاريا واضحا بين موانىء شبه الجزيرة العربية والصين ، بل إن بعض تجار عمان لعبوا أيضا دورا هاما في إدارة حركة التجارة من داخل الصين هذا بالإضافة إلى العوائد الضخمة التي كانت تجنيها الخزينة العامة كضرائب من حركة تبادل تجاري لمواد نعتقد أنها قادمة من الخليج مثل البخور واللبان والعقاقير الطبية التي يعتقد أنها بشكل كبير كانت حكرا لتجار عمان . في هذا الصدد تذكر المصادر الصينية أن وزن البخور الوارد من البلاد العربية إلى Guang-Zhou بلغ في عام ١٠٧٧م ٣٤٨ , ٦٧٣ Jin (٢Jin = كيلوجرام واحد) و٣ , ٧٣٩ Jin بميناء Ming Zhou (وهي ميناء Ming - Po الحالي) ٦٣٧Jin بميناء HangZhou ، أي بنسبة إجمالية بلغت ٥ , ٩٨٪ بميناء Gung Zhou ونسبة ١ ـ ٥٪ بالميناءين الأخرين[١١٨] ، كما تخبرنا المصادر الصينية أيضا أنه خلال فترة حكم الإمبراطور Tai Tsung الموافق سنة ٩٨٢م أصدر الإمبراطور تصريحا أمر فيه باستيراد ٣٧نوعا مختلفا من العقاقير الطبية العربية التي سرعان ما جاءت مئات الكيلوجرامات منها[١١٩] ، وتشير المصادر الصينية إلى أنه خلال الفترة الممتدة من ١١٠٢ ـ ١١٠٦م بلغت عائدات الرسوم الجمركية الضريبية المقررة على التجار الأجانب ١ , ١٠٠ , ٠٠٠ Ming أو Guan (وحدة حسابية صينية) أي ١/ ٦٠ من جملة الدخل القومي السنوي لحكومة أسرةسونغ الشمالية ، كما بلغت عائدات الجمارك المتحصلة من التجار الأجانب ومن ضمنهم التجار العرب في Fujian وGuangdong حوالي ٢, ٠٠٠ , ٠٠٠ . (Mingأو Guan وحدات حسابية صينية)[١٢٠] . أما في سنة ١١٧٥ فقد بلغت ضريبة الواردات المقررة على التجار الأجانب ٥٠٠ , ٠٠٠ odd (وحدة حسابية صينية)[١٢١] .

وتجمع المصادر العربية والصينية بأن أهم السلع التي يحملها أبناء الجزيرة العربية إلى الصين إبان أسرة سونغ كانت تضم ، التوابل ، لبان يافا ، الزهور البستانية ، الصمغ الأصفر ، جلود الإبل ، الطلاء ، دم التنين ، عين القط ، العنبر ، العطور ، أملاح البوراكس التي تستخدم في صناعة الصابون والزجاج ، الكرستال ، الزجاج بأنواعه الشفاف والمعتم ، صمغ الأسفوتيد المستخدم في صناعة العقاقير الطبية وغيرها[١٢٢] ، أما البضائع الصينية التي كانت تصدر إلى البلاد العربية فقد كانت تضم الحرير ، الذهب ، الفضة ، الصفيح ، الملابس ، الخزف والمسك

الذي يجلب من بلاد التبت[١٢٣] ، علما بأن الخزف الصيني الذي كان سلعة صينية رئيسية للتصدير للمنطقة العربية كان قد بدأ تصنيعه منذ القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلادي في عاصمة عمان القديمة صحار[١٢٤] .

ولم يلعب تجار شبه الجزيرة العربية والخليج العربي دورا كبيرا في تنشيط تجارةالصين مع العالم الخارجي فقط ، بل ساهموا في إدارة وتطوير نظم التجارة داخل الصين أيضا وأصبحوا خبراء مقربين من البلاط الإمبراطوري ، ومن الشخصيات التي لعبت دورا هاما في هذا الاتجاه التاجر العماني الذي تشير له المصادر الصينية بالاسم Xin -Ja- To-Lu ويعتقد المختصون في الشأن العربي في الصين كالمؤرخ الصيني Zhang Guang Da بأنه التاجر العربي العماني عبدالله[١٢٥] ، وننقل عن تاريخ أسرة سونغ ، وتاريخ النظم الأساسية الدستورية لأسرة سونع (Song Hui Yao) أن الشيخ عبد الله كان تاجرا ثريا ويحظى باحترام السلطات بحيث إن البلاط كان لا يتدخل في شئون تجارته التي يديرها بنفسه إلى جانب عمله التجاري كان مندوبا عن بلاد صحار (Wu- Xun) كما أصبح في عام ١٠٧٢ ممثلا للخليفة لدى الإمبراطور ، وتقديرا لمساهماته الجليلة في توطيد العلاقات الصينية العربية منحه الإمبراطور لقب Huai - Hua(جنرال) ، وكان الشيخ عبد الله يشغل في ذات الوقت منصب رئيس حي الأجانب في مدينة Guang Zhou ، كما شرفه الإمبراطور بتعيينه ضابطا للهجرة[١٢٦] ، ويسجل الكاتب السياسي المشهور Su - shi (١٠٢٧ ـ ١١٠١م) أخبار هذا التعيين فيقول «توجه الشيخ عبد الله شخصيا إلى العاصمة كاي ـ فانغ عاصمة أسرة سونغ الشمالية لتقديم مراسيم الاحترام للإمبراطور وتقديم الهدايا» ، وتقول المصادر الصينية بأن «الشيخ عبد الله عاش في Guang Zhou عشرات السنين وكانت ثروته تقدر بعدة ملايين من المينات (المن الواحد يساوي ألف قطعة نقدية) ويحاول بروفسور Zhang - Jun - Yan الأستاذ بجامعة بكين شرح الثروة الهائلة التي يتمتع بها هذا التاجر العماني فيقول : «ولنشرح هذا الرقم ، أن الدخل السنوي للتجارة الخارجية في عهد أسرة سونج في أكثر فترات ازدهارها بلغ مليوني «من» فقط ، وقد جاء في كتاب Song - Shi (تاريخ أسرة سونج) ، أن الشيخ عبد الله كان قد اقترح لحكومة أسرة سونج أن يساهم في ترميم سور مدينة كانتون ومع أن هذا العرض لم تقبله الحكومة إلا أننا نستطيع أن نتبين أن الشيخ عبد الله كان تاجرا واسع الثراء[١٢٧] ، الشيخ عبد الله أيضا كان معروفا بمساهمته في التنمية الاجتماعية بمدينة Guang Zhou ، فقد قام هذا

التاجر العماني بشراء الأراضي وبناء المدارس لمواطني المنطقة إسهاما منه في دفع مسيرة التعليم في هذه المدينة[١٢٨] ، وحينما كان على أهبة مغادرة كانتون إلى وطنه في عام ١٠٧٢ ميلادية أهداه الإمبراطور «جواد أبيض ، وسرجا» وذلك اعترافا بالدور الجليل الذي كان يلعبه الشيخ عبد الله في مدينة Guang Zhou[١٢٩] .

كما ظهر في هذه الفترة تجار عرب آخرون لعبوا دورا مشرفا في الحياة الاقتصادية والإدارية في الصين مثل أبو علي إبراهيم والذي يطلق عليه الباحثون لقب (أبو السوقين ، ووزير السوقين) ويقصد بهما سوق Quang Zhou وسوق Guang zhou ، وقد عين أبو علي في منصب مفتش عام التجارة الخارجية البحرية ومسئولا عن الواردات الخارجية إلى الصين[١٣٠] . ومن التجار العرب الذين ذاعت شهرتهم بالصين التاجر العربي الذي تطلق عليه المصادر الصينية اسم (Pu - shou - Geng) وربما يكون اسمه العربي «أبو شوقي» ، وكان يقوم بوظيفة مدير مكتب السفن التجارية في ميناء Quang Zhou وذلك في نهاية أسرة سونغ ، وكان هذا التاجر أيضا مختصا بتجارة البخور[١٣١] ، ولما كانت تجارة البخور واللبان حكرا على تجار عمان بشكل خاص وتجار الخليج بشكل عام فإننا قد نميل إلى القول بأن التاجر أبو شوقي ربما كان تاجرا عمانيا خصوصا أن تجارا عمانيين آخرين مثل الشيخ عبدالله قد تولوا مناصب حققوا نجاحات إدارية في مناح مشابهة ، وفي الواقع أن تجارا عربا كثيرين ارتبطوا بعلاقات وثيقة وقوية مع أباطرة أسرة سونغ مثل التاجر العربي الذي يشير إليه كتاب تاريخ سونغ الفصل ٤٩٠ باسم Pu- Shi- Mi بأنه أرسل في العام الرابع من فترة الإمبراطور تشون مندوبا عنه لتقديم الهدايا للإمبراطور ، إذ لم يكن بمقدوره القدوم للعاصمة بسبب مرض ألم به ، وبعد أن قدم المندوب رسالة عبر فيها Pu- Shi- Mi عن تقديره اللامحدود للإمبراطور قدم قائمة هدايا تحتوي على ٥٠ قطعة من العاج ، ٩٠٠ كيلو من اللبان مع عدد كبير من قطع المنسوجات والصوف وزجاجات ماء الورد[١٣٢] .

ولم يكن عرب شبه الجزيرة العربية تجارا فقط ، بل كانوا أيضا نشطين في مجال الدعوة الإسلامية والمسيحية ، إذ يذكر ابن النديم في الفهرست أن راهبا عربيا حضرميا قد جاء إلى الصين في الفترة من ٩٧٨ ـ ٩٨٨م ومعه خمسة مبشرين مسيحيين للتبشير بالدين المسيحي وقد عادوا إلى بلادهم بعد عشر سنوات قضوها في التبشير الديني في الصين[١٣٣] ، كما قام تاجر عربي يدعى الشيخ بهاء الدين في حوالي عام ١٢٧٥م ببناء مسجد في مدينة Yang Zhou ، وتقول المصادر الصينية إن الشيخ بهاء الدين من الجيل السادس عشر من آل البيت ، والمسجد المذكور هو مسجد الكركي القائم الآن في مدينة Yang Zhou[١٣٤] .

على كل حال انتهت هذه الصفحات المجيدة في تاريخ التبادل بين الصين وشبه الجزيرة العربية إبان أسرة سونغ في عام ١٢٥٨م عندما سقطت العاصمة بغداد على أيدي القائد المغولي هولاكو لينتهي العصر الذهبي للعلاقات الصينية ـ العربية في الفترة العباسية ، وبعد عقدين من سقوط الخلافة العباسية أنشأ المغول في عام ١٢٧٩م أسرة يوان الملكية في الصين ليصبح المغول سادة لكل من بغداد وبكين .

العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والصين إبان أسرة يوان ١٢٧١ ـ ١٣٦٨م

رغم أن المغول أنهوا قرونا من التبادل التجاري والثقافي المباشر بين الصين ومعظم البلاد العربية التي أصبحت جزءا من أمبراطوريتهم الواسعة ، إلا أنهم قربوا في وجهات النظر بين كثير من الأمم التي فتحوها وساعدوا على خلق جو من التفاهم ، وكيف لا وهم الذين نجحوا في بناء إمبراطورية امتدت من شانكون بشمال الهملايا إلى بودبست بهنغاريا ومن Guang Zhou شرقا إلى البصرة غربا ورغم أن بلاد شبه الجزيرة العربية لم تكن ضمن هذه الإمبراطورية ، إلا أن سقوط بغداد قد أثر نوعا ما في طبيعة التبادل التجاري بينها وبين الصين ، ولكن سرعان ما استعادت موانىء شبه الجزيرة العربية والموانىء الصينية حيويتها بعد سنوات الركود التجاري التي أعقبت الاجتياح المغولي وعادت الموانىء الصينية مثل ميناء Quang Zhou الذي يصفه ابن بطوطة آنذاك بأنه (أعظم مراسي الدنيا)[١٣٥] إلى العمل ، وسرعان ما ازدهرت هذه الموانىء وبدأت التجارة العربية الصينية تستعيد مرة أخرى حيويتها المعهودة .

ويحدثنا ابن بطوطة كثيرا عن تجارات العرب في الصين في تلك الأيام وينقل لنا صورة زاهية لتجارات مزدهرة وموانىء تضج بالحركة ، وأحياء كاملة وأماكن خاصة بالتجار العرب والمسلمين ، ويدخلنا معه إلى بيوت تجار عرب ومسلمين أثرياء وأصحاب نفوذ مثل عثمان بن عفان المصري وقوام الدين البشاري من المغرب وكمال الدين عبد الله من أصفهان وشريف الدين التبريزي وأحد الدين من سنجار وغيرهم كثر[١٣٦] .

ويبدو أن التجار العرب في إحدى فترات الحكم المغولي للصين كانوا يتمتعون بذات المزايا التي ألفوها إبان أسرتي تانغ وسونغ إذ يقول ابن بطوطة : «وكانت للتجار المسلمين مدنهم الخاصة التي بها مساجدهم وأسواقهم كما لهم قاض وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ للإسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه وقاض يقضي بينهم»[١٣٧] ، ويقول أيضا :

«وبلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافرين فإن الإنسان يسافر منفردا مسيرة ستة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها»[١٣٨] ، وفي الوقت الذي يشيد فيه ابن بطوطة بالأمن واستقرار التجار في الصين ، يؤكد القزويني (توفي في عام ١٢٨٣م) على ذات الحالة مشيرا إلى «أن بها الخيرات الكثيرة من الحبوب والبقول والفواكه والسكر» ويضيف «أما ملكها فموصوف بالعدل والسياسة»[١٣٩] .

كما يشير آدم متز في كتابه «الحضارة الإسلامية» إلى النشاط التجاري العربي في الصين في تلك الفترة فيقول : «كانت توجد جالية كبيرة من المسلمين المسجلين في ديوان التجارة البحرية»[١٤٠] ، ونجد في كتابات ابن بطوطة إشارات واضحة لاستمرار تدفق البضائع الصينية إلى موانىء شبه الجزيرة العربية عندما يقول : «أعظم أسواق مدينة الزيتون سوق الخزف ومنها يحمل إلى سائر بلاد الصين والهند واليمن»[١٤١] ، ونلاحظ أن اليمن «عدن» في تلك الفترة أصبحت مركزا لاستيراد الخزف الصيني ، وكان هذا الميناء لا يزال في ذلك الوقت يحتفظ بموقعه كميناء تجاري هام مع الصين إذ يقول شمس الدين ابن عبد الله (شيخ الربوة) صاحب كتاب «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» المتوفي عام (١٣٢٦م) إن عدن «هي فرصة لمن يمروا من مراكب الصين والهند وفارس وكرمان وعمان»[١٤٢] .

وكان في فترة من الفترات يتم في هذا الميناء مقايضة منتجات الهند والصين بمنتجات مصر والحبشة ، كما كان التجار يقايضون مع الصين المرجان والخيل والمنسوجات الصوفية وأجواخ البندقية بالحرير والديباج والشاي المنتوج في الصين[١٤٣] .

والجدير بالذكر أن أهم صادرات شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة كانت الخيول واللؤلؤ والبخور[١٤٤] ، وعلى الجانب الثقافي واصل الصينيون في هذه الفترة أيضا اهتمامهم بجغرافية وأحوال منطقة شبه الجزيرة العربية ونقتطف من كتاب «السفر إلى الغرب» والمؤلف في فترة أسرة يوان الملكية بعض المعلومات حول مكة المكرمة ، يقول هذا المصدر مثلا «تقع دولة Tian Fang (مكة) على بعد ٣٠٠ لى من عاصمة الخليفة حيث توجد الكعبة التي بها الملائكة السماوية ويدفن فيها جد النبي ، يحتفظ بداخل الكعبة بأعداد كبيرة من كتابهم المقدس ، وتحكم Tian Fang عشرات المدن حولها»[١٤٥] .

تواصل في هذه الفترة أيضا قدوم الرحالة الصينيين إلى منطقة شبه الجزيرة العربية وعلى رأسهم الرحالة الصيني Wang Da Yuan الذي زار المنطقة في أعوام ١٣٢٨م ، ١٣٣٤م على

التوالي وعندما عاد إلى بلاده ألّف حوالي عام ١٣٤٠م كتابه الشهير» مختصر قبائل الجزر» ويتناول فيه جغرافية وأحوال شبه الجزيرة العربية بالإضافة إلى المغرب ومصر[١٤٦] ، ويشير الكتاب بوضوح إلى أن الرحالة الصيني Wang - Dang قد زار مكة والكعبة والمدينة[١٤٧] ، كما صدرت عدة كتب أخرى تناولت المنطقة كمؤلفات الكاتب العربي Shan- Si (شمس) «١٢٧٨ ـ ١٣٥١م الذي عاش في الصين» منها كتابه المشهور Xi Guo Tu Jing (أطلس البلدان الغربية) وXi - Guo - Yi Ren Zhuan سيرة حياة العظماء بالبلدان الغربية[١٤٨] . ويعتقد المؤرخ الصيني المخضرم Chen De Zhi أن تلك الكتب بالتأكيد كانت تهتم بالجغرافية والتاريخ العربي[١٤٩] ، وأعتقد أنها كانت تحوى قسما عن جغرافية منطقة شبه الجزيرة العربية كمكة والمدينة وكذلك سيرة حياة الرسول الكريم ، والمعروف أن هذين الكتابين يعتبران من الكتب المفقودة حاليا .

وإلى جانب الرحالة الصينيين يبدو أن حركة الحج إلى الأراضي المقدسة كانت مرصودة إبان أسرة يوان ، إذ يشير الكاتب الصيني Chen Yuan في عمله القيم Western and Central Asians in China Under The Mongols أثناء تعريفه بشاعر مسلم عاش في الصين وهو الشاعر المسلم Mai - Lu «أن اسم جده هو Ha- Chih (الحاج) مما يدل أن جده قد زار مكة» في وقت ما في بادية العصر المغولي في الصين[١٥٠] ، ومن هذا النص نستطيع أن نستنتج أن مسلمين صينيين أو مسلمين أجانب عاشوا في الصين كانوا يقومون برحلات إلى مكة في ذلك الوقت ، كما لعبت شخصيات من شبه الجزيرة العربية دورا هاما في الحياة الاقتصادية والسياسية في الصين إبان فترة تانغ وسونغ ، لعبت أيضا شخصيات يعتقد أن جذورها ترجع إلى منطقة شبه الجزيرة العربية دورا هاما في الحياة السياسية والاقتصادية إبان فترة أسرة يوان مثل السيد الأجل شمس الدين عمر (١٢١٠ ـ ١٢٧٩م) الذي تطلق عليه المصادر الصينية اسم الأمير العربي (Xiang Yong) ، وتؤكد المصادر الصينية العائدة لأسرة يوان أنه من سلالة النبي (ص) ويبدو أن أجداده قد هاجروا إلى آسيا الوسطى في زمن غير معروف وتولوا مناصب هامة هناك ، وقد جاء السيد الأجل شمس الدين مع والده إلى الصين حيث تقلد فيما بعد مناصب هامة Yen Ching «بكين» وفي محافظة Shan Si إلا أن أكبر منصب تقلده السيد الأجل كان تعيينه حاكما عاما لمنطقة (يونان) وذلك في عام ١٢٧٤م[١٥١] ، وقد قام السيد الأجل شمس الدين بتحريك ساكن الحياة في ذلك الإقليم البعيد فأنشأ نظام ري ظل يعمل حتى بداية القرن العشرين ، كما أدخل زراعة محصولات كالأرز لم تكن تزرع في تلك الأرجاء قبل مجيئه ، كما بنى أول مدرسة في

تاريخ الإقليم[١٥٢] ، ورغم عقيدته الإسلامية الراسخة فقد قام ببناء معابد للكنفوشيوسيين إلى جانب مساجد للمسلمين ، مما يعكس تفهما عميقا لسماحة الإسلام في احترامه لثقافة الآخرين ، وقد مات شمس الدين عمر في عام ١٢٧٩م ، وتعكس لنا الأدبيات الصينية مقدار الحزن الكبير الذي غشي يونان يوم رحيله[١٥٣] ، ولا يزال سكان ذلك الإقليم النائي يزورون قبره في الأعياد والمناسبات إلى يومنا هذا .

ومن الشخصيات الهامة الأخرى في تلك الفترة كان سعيد بن أبو علي العماني (١٢٥١ ـ ١٢٩٩م) الذي كان وزيرا عند سلطان معبر في الهند ، وفي ذات الوقت ارتبط بعلاقات جيدة مع البلاط المغولي في الصين ، وقد أدت علاقاته القوية مع السلطان في الصين إلى غضب سلطان معبر الذي صادر أمواله وهدده بالقتل ، فأرسل إمبراطور الصين يستدعيه للقدوم والعيش في الصين وبالفعل وصل هذا التاجر العماني الثري إلى بكين بعد أن نجح وفد أرسله قوبلاي خان إلى معبر بتهريبه إلى بكين التي وصلها في عام ١٢٩٢م[١٥٤] ، وعندما تولى تيمور حكم الصين في عام ١٢٩٤م منحه لقب وزير ، وقد توفي سعيد في عام ١٢٩٩م في بكين عن عمر يناهز الـ ٤٩ عاما وقد أمر تيمور بتنظيم جنازة رسمية على نفقة الدولة وأصدر أمرا إمبراطوريا للمسئولين لحماية ورعاية أسرته[١٥٥] .

هذه بعض ملامح الاتصالات الودية والتجارية بين شبه الجزيرة العربية والصين إبان فترة أسرة يوان الملكية ، وقد استمرت هذه الاتصالات بشكل أو بآخر حتى عام ١٣٦٨م عندما استطاع الثائر الصيني "Chu Yuan Chang" أن يقضي على السلطة المغولية «سلطة أسرة يوان» ويؤسس أسرة جديدة عرفت في التاريخ الصيني باسم أسرة مينغ الملكية ١٣٦٨ ـ ١٦٤٤م لتبدأ مرة أخرى صفحة جديدة من علاقات الصين مع شبه الجزيرة العربية .

العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والصين إبان أسرة مينغ الملكية ١٣٦٨ ـ ١٦٤٤م

هذه هي الفترة التي شهدت فيها العلاقات بين الصين وشبه الجزيرة العربية اتصالا دبلوماسيا كثيفا ومباشرا ربما أكثر من أي فترة سابقة في تاريخ التبادل الدبلوماسي بين الصين وحكام هذه المنطقة .

إذ ترصد لنا المصادر الصينية وخصوصا كتاب تاريخ أسرة مينغ الملكية عددا معتبرا من السفارات الدبلوماسية التي وردت من حكام وأمراء شبه الجزيرة العربية وعددا مقدرا من

السفارات الصينية الواردة إلى هذه البلاد ، وكانت الصين قد شنت خلال الفترة من ١٤٠٥ ـ ١٤٣٣م والتي تصادف فترة حكم الأباطرة Chen Zu (١٤٠٢ ـ ١٤٢٤م) وRen Zong (١٤٢٤ ـ ١٤٢٥م) وXuan Zong (١٤٢٥ ـ ١٤٣٥م) حملتها الدبلوماسية الرئيسية مع شبه الجزيرة العربية وذلك عندما أرسل أباطرة الصين البحار المسلم Zheng He كرسول صداقة لكثير من البلدان في آسيا وأفريقيا حيث قام بسبعة رحلات استكشافية خلال ٢٨ عاما[١٥٦] ، زار خلالها الكثير من دول وإمارات شبه جزيرة العرب ويحفظ لنا كتاب (Ming Shi) تاريخ أسرة مينغ الكثير من المعلومات القيمة عن التبادل الدبلوماسي والتجاري بين الصين وشبه جزيرة العرب ، يقول كتاب Ming Shi أن Zheng He قد زار عدن سنة ١٤١٦م مما دفع بملك عدن إلى إرسال بعثة إلى البلاط الصيني مع خطاب وهدايا ثمينة وبدوره قام الإمبراطور الصيني بإرسال ذلك البحار الشهير إلى ملك عدن وحمله خطابا إمبراطوريا وهدايا قيمة[١٥٧] ، هذا بالإضافة إلى بعثة صينية أخرى قادها نفس ذلك البحار إلى بلاط ملك عدن المسمى Mo- Li - Ke - Na - Si - Er (أي مالك الناصر) المنتمي إلى الأسرة الرسولية التي حكمت اليمن في الفترة الممتدة بين ١٢٢٩ ـ ١٢٥٤م وقد وصلت تلك البعثة إلى عدن سنة ١٤٣٠م[١٥٨] ، وحسب ما يذكر كتاب تاريخ أسرة مينغ فإن أربع بعثات يمنية قد زارت الصين خلال حكم الأسرة Ming[١٥٩] ، وفي الفترة الواقعة بين ١٤٢٢ ـ ١٤٣٠م قام Zhen He أيضا بزيارة ظفار بعمان مرتين ، ويشير كتاب تاريخ مينغ إلى أن Zhen He قام عند مثوله أمام ملك ظفار بقراءة خطاب الإمبراطور فقام ملك ظفار على الفور بالطلب من مواطنيه مبادلة منتجاتهم المحلية مع البعثة التجارية الصينية[١٦٠] ، ومن جانبه قام ملك ظفار المسمى «عليا» حسب كتاب تاريخ أسرة مينغ ، بإرسال بعثات إلى البلاط الصيني في عامي ١٤٢١م و١٤٢٣م[١٦١] ، وأيضا قام ذلك البحار الصيني بإرسال بعثة من كلكتا إلى Tian- Fan أي (مكة) التي قام ملكها بدوره بإرسال بعثة إلى البلاط الصيني[١٦٢] ، ووصف كتاب تاريخ أسرة مينغ خبر تلك الزيارة كما يلي «في السنة الخامسة من حكم الإمبراطور Xuan Zong الموافق سنة ١٤٣٠م قاد البحار Zheng He بعثة دبلوماسية إلى بلاد المحيط الغربي (أي المحيط الهندي) ، وعند وصوله كلكتا أرسل نوابه إلى Tian- Fan أي (مكة) ، وقد استغرقت رحلة الوفد جيئة وذهاب عاما كاملا ، وبدوره قام ملك مكة بإرسال بعثة إلى البلاط الصيني حيث قدمت هدايا إلى الإمبراطور الذي سر سرورا عظيما بتلك الهدايا وقد استقر ذلك الوفد المكي بالصين إلى عام ١٤٣٦م[١٦٣] .

ويبدو أن ملوك شبه الجزيرة العربية خصوصا أمراء مكة والمدينة كانوا على علاقات وطيدة مع الصين إبان فترة أسرة حكم مينغ ، ففي سنة ١٤٩٠م قام ملك مكة السلطان أحمد بإرسال بعثة إلى الصين قدمت لإمبراطورها هدايا قيمة ضمت خيولا وأحجارا كريمة ونعاما[١٦٤] ، وقام سلطان مكة Yi-ba-La- Ke- Xie (الشريف بركات) في عام ١٥١٨م بإرسال وفود إلى الصين قدمت لإمبراطورها عددا من الخيل كهدية[١٦٥] ، كما قام أمير مكة والذي تسميه المصادر الصينية Ima- du- er في عام ١٥٢٥ بإرسال بعثة إلى الصين[١٦٦] ، وكتاب تاريخ أسرة مينغ يذكر أنه خلال حكم الإمبراطور Xuan Zong (١٤٢٥ ـ ١٤٣٥م) قام ثمانية من ملوك وأمراء شبه الجزيرة العربية بإرسال بعثات إلى البلاط الصيني كان من ضمنها بعثات مرسلة من أمراء المدينة والإحساء[١٦٧] .

والمصادر العربية تحفظ لنا بعض المعلومات حول التبادل الدبلوماسي والتجاري الذي كان يجري بين الصين وشبه الجزيرة العربية إبان فترة حكم أسرة مينغ الملكية في الصين ، إذ يشير المقريزي في حوادث عام ٨٢٣ هـ الموافق ١٤٢٠م ، إلى قدوم سفارة صينية إلى عدن للاحتجاج لدى حكامها لمعاملتهم السيئة لتجار الصين طالبة العدل والحماية لمواطنيها ، وأضاف المقريزي إلا أنه يبدو أن تلك السفارة لم توفق فيما ذهب إليه[١٦٨] ، المعروف أن أمراء عدن كانوا في تلك الفترة قد حاولوا أن يفرضوا سياسات جديدة على السفن القادمة من الشرق الأقصى ، ويلاحظ المؤرخون أنه منذ عام ١٤٢٤م كان أمراء عدن قد بدأوا في تطبيق سياسة جديدة تجاه السفن القادمة من الهند والصين وذلك بزيادة قيمة الضرائب المفروضة عليها ، كما أنهم وحتى يستأثروا بكل تجارة الشرق الأقصى أجبروا ربان السفن الزائرة على البقاء في عدن لبيع متاجرهم ومنعوهم من الإبحار إلى موانىء البحر الأحمر الأخرى كالجار وجدة[١٦٩] ، وربما إلى سواكن في السودان ، الأمر الذي دفع ربان السفن القادمة من الهند والصين إلى تحاشي ميناء عدن والتوجه رأسا إلى موانىء الحجاز ومدنها جدة ، مكة ، والجار[١٧٠] ، وينقل Hirth عن Heyd أن السلطان المملوكي في مصر كان قد اغتنم هذه الفرصة ومنح تجار الشرق الأقصى نفس التسهيلات القديمة التي كانوا يتمتعون بها في عدن وعلى هذا الأساس رصد في عام ١٤٢٦م وحده وصول أكثر من أربعين سفينة هندية وفارسية إلى ميناء جدة[١٧١] ، والمقريزي يشير في حوادث ٨٣٥هـ الموافق ١٤٣١م إلى وصول عدة مراكب صينية قادمة من ميناء عدن إلى ميناء جدة بعد أن فشلت في بيع بضائعها من الحرير الصيني ومنتجات الصين الأخرى[١٧٢] ، كما يؤكد ابن إياس محمد بن أحمد

(١٤٧٧ ـ ١٥٢٣م) في نشق الأزهار في عجائب الأقطار أنه كان في زمانه يشاهد تجارا صينيين في فنادق جدة وأسواقها[١٧٣] .

هذا بينما يؤكد Heyd أن سفن الصين كانت تقوم برحلات إلى ميناء الجار ثغر المدينة[١٧٤] . ولا نعرف ما إذا كانت السفارات التجارية للصين في أعوام ١٤٢٠م ، ١٤٣١م جزءا من أسطول Zhen He التجاري أم أنها سفن وبعثات تجارية صينية أخرى كانت تجوب موانىء وأسواق شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة .

ويبدو أنه حتى بعد أن توقفت رحلات البحار المسلم Zhen He في عام ١٤٣٣م واصلت السفارات الصينية القدوم إلى المنطقة كما شوهدت سفارات في شبه جزيرة العرب في البلاط الصيني .

إذ ترصد المصادر الصينية أن الشريف بركات حاكم مكة قد بعث في عام ١٥١٨م هدايا إلى الإمبراطور Wu Zong حوت خيولا وإبلا ومرجانا وصوفا وأحجارا كريمة وقد رد إمبراطور الصين بإرسال عباءة عليها صورة تنين مصنوع من خيوط الذهب ، كما حوت قائمة هدية الإمبراطور للشريف بركات مسكا وأواني فضية وذهبية[١٧٥] ، كما أرسل أمير مكة سفارات إلى الصين في الأعوام ١٥٢٥ ، ١٥٣٢ ، ١٥٤٣م[١٧٦] .

وهكذا نلاحظ أن إمارات المدينة وظفار والاحساء وعدن احتفظت بعلاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع الصين طوال القرن السادس عشر الميلادي .

في هذه الفترة ظهرت عدة كتب تطرقت للأوضاع في شبه الجزيرة العربية (اجتماعية وجغرافية) مثل كتاب Ming Shi الذي ذكر مرارا دويلة Tian-Fang مكة ، كما ذكر كتاب Shing Tsa Shing Long مكة والمدينة وظفار وعدن[١٧٧] ، وكذلك كتاب Hsi Yang - Chao Kung Tien Lu والذي يحوي وصفا تفصيليا للكعبة[١٧٨] .

العلاقات إبان فترة حكم أسرة Qing ١٦٤٣ ـ ١٩١٢م وحتى قيام جمهورية الصين الشعبية أكتوبر ١٩٤٩م المسلمون الصينيون يحافظون على جسر الصداقة.

تعرضت هذه التبادلات الغنية للاضطراب في أواسط القرن الخامس عشر عندما بدأت البوارج الحربية الأوروبية سعيها للسيطرة على منافذ التجارة والمواصلات في العالم القديم تمهيدا لشن حملتهم العدوانية على شعوب آسيا وأفريقيا ، وبالفعل قامت البوارج بإحكام سيطرتها

على طرق ومنافذ البحر الأحمر والمحيط الهندي لتعوق التبادل التجاري والثقافي السلمي ولتعكر كذلك سلام الشعوب ، ولأول مرة منذ عدة قرون بدأت الشعوب القاطنة على ضفاف وجزر المحيط الهندي والخليج العربي تسمع طلقات المدافع بدلا من أهازيج البحارة القادمين من الصين ، إلا أنه ورغما عن هذا الاضطراب الخطير استمر نوع من التواصل بين بلاد شبه جزيرة العرب والصين ، إذ يشير الكاتب الصيني Ma Da Xin إلى طريق بري كان يتخذه المسلمون الصينيون في رحلاتهم إلى شبه الجزيرة العربية يبدأ من الصين عبر آسيا الوسطى مخترقا المرتفعات الفارسية إلى حلب فدمشق فعكا فيافا فالقدس إلى أن يصل مكة المكرمة[١٧٩] ، كما يصف Ma Da Xin طريقا بريا آخر يستعمله المسلمون الصينيون يسمى بالطريق الجنوبي الذي يمر بمرتفعات Tian Shan الشمالية ويتجه جنوبا إلى جزيرة Lama Kan مخترقا مرتفعات Pam-er ثم يتجه غربا إلى كابول ومنها إلى Miran فشيراز ثم إلى البصرة ومنها إلى مكة[١٨٠] ، إلا أن الطريق الرئيسي الذي سلكه المسلمون الصينيون إلى بلاد شبه الجزيرة العربية منذ أوائل القرن الخامس عشر وحتى القرن الثامن عشر كان طريق البحر[١٨١] .

هذا وتشير المصادر والإحصاءات الصينية إلى أن المسلمين الصينيين وخصوصا مسلمي مقاطعة يونان واصلوا زياراتهم الدينية إلى مكة والمدينة طوال فترة حكم أسرة Qing ، وفي هذا الخصوص تشير المصادر الصينية على سبيل المثال لا الحصر إلى عدة حجاج وباحثين صينيين مسلمين زاروا هذه المنطقة مثل الحاج Ma Lai Tshi الذي سافر إلى مكة في عام ١٧٢٨م لأداء فريضة الحج وقد بقي هناك زهاء ثلاث سنوات[١٨٢] .

وتشير المصادر الصينية إلى فقيه صيني مسلم آخر هو الحاج Ma Ming Shing ١٧١٩ ـ ١٧٨١م) والذي سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج مع عمه وكان عمره آنذاك أثنى عشر عاما ، عندما وصل إلى اليمن في طريقه إلى مكة التقى بالشيخ الزياني الإمام الصوفي المعروف وأصبح تلميذا له ، وبقي Ma Ming لمدة ستة عشر عاما يتلقى علوم الشريعة والحديث واللغة والفقه على يد الشيخ الزياني وعند عودته إلى الصين أسس واحدة من أهم الطوائف الصوفية الأربع في الصين وهي طائفة الجهرية[١٨٣] .

في عام ١٩٥٠م أصدر الجهاز الإحصائي القومي بمحافظة Gansu إحصائية تشير إلى أن عدد الحجاج السنوي في منطقة Ling Shia منذ حكم الإمبراطور Qian Long (١٧٣٦ ـ ١٧٩٥م) كان يتراوح ما بين بضعة عشرة فردا إلى ثلاثين فردا من الرجال والنساء من مختلف الأعمار ،

بينما كان عدد الحجاج من مناطق مثل بافانغ ويانغواشان وخجيا ودونغشيانغ في ذات الفترة يزيد عن المائة حاج ، وكان من بين هؤلاء الحجاج عدد ممن تأثروا بالحركة الصوفية خلال وجودهم في مكة المكرمة[١٨٤] .

وحملت المصادر الصينية خبر رحلة الحاج الصيني المسلم Ma- Fu Chu (١٨٤٩ ـ ١٩٣٤م) الذي زار في الفترة من (١٨٤١ ـ ١٨٤٨م) كلا من مكة وعمان وعدن والقاهرة واستنبول ، وبعد عودته كتب كتابه المعروف (الطريق إلى مكة) ، وقد كتب السيد Ma - Fu كتابه المذكور باللغة العربية ، وقام تلميذه Ma An L بعد ذلك بترجمته إلى اللغة الصينية[١٨٥] ، ويبدو أن الحاج Ma-Fu قد قام بزيارة أخرى إلى الحجاز في عام ١٨٨٨م حيث أسس بعد عودته طائفة دينية في الصين تأثرت بالتعاليم الوهابية[١٨٦] .

ولم يكن مسلمو الصين يزورون شبه الجزيرة العربية لأغراض دينية فقط فقد قاد سياسيون مسلمون مثل الحاج Isa Ma Wu Ling في الفترة من ديسمبر ١٩٣٧ ـ يونيو ١٩٤٠م بعثة صينية زارت البلاد العربية للحصول على دعم عربي رسمي وجماهيري لنضال الشعب الصيني ضد الغزو الياباني ، وقد قام هذا الوفد بزيارة مكة المكرمة حيث التقى الملك السعودي ووزير المالية عبد الله سليمان اللذين أبديا تعاطفا ودعما لقضية الشعب الصيني[١٨٧] .

وقد استمرت زيارات مسلمي الصين إلى بلاد شبه الجزيرة العربية حتى قيام جمهورية الصين الشعبية في أكتوبر ١٩٤٩م لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات بين الصين والبلاد العربية .

شواهد وأدلة التبادلات التجارية والثقافية بين شبه الجزيرة العربية والصين

هذا هو تاريخ التبادل التجاري والدبلوماسي والثقافي الفريد بين شبه جزيرة العرب والصين كما حفظته لنا المصادر الصينية والعربية ، إلا أن الأرض أيضا حفظت لنا الكثير من الأدلة التي تؤكد بشكل قاطع ما حملته المصادر المكتوبة ، ففي منطقة عدن على سبيل المثال عثر الآثاريون على كثير من الخزف الصيني الذي يرجع إلى عدة عصور صينية منها خزف صيني يرجع للفترة من القرن الثالث عشر ـ إلى السادس عشر[١٨٨] ، وفي صحار العاصمة العمانية القديمة وجد خزف صيني يعود إلى أسرة تانغ ، كما يحفظ لنا متحف مسقط رصيدا هاما من الأواني الخزفية الصينية القديمة كما يحتفظ بقطع خزفية زرقاء نادرة تعود إلى أسرة يوان ، هذا إلى جانب اكتشاف العديد من الأشياء المستوردة من الصين في صحار يرجع تاريخ بعضها إلى القرنين

الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، كما تم اكتشاف زجاجة صغيرة وتمثال لبوذه جالس على زهرة اللوتس ومرتكز على تمثالين لاثنين من الأسود[١٨٩] ، كما عثر الآثاريون على خزف صيني في حفريات قلعة البحرين يعود إلى نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن العشرين[١٩٠] .

أما دولة الإمارات العربية المتحدة فقد عثر فيها على كثير من الكسر الخزفية الصينية في حفريات جلفار وفي مواقع أخرى وبعض هذه الكسر يرجع تاريخها إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي[١٩١] ، كما عثر مؤخرا في رأس الخيمة على عملة صينية تعود إلى القرن الثامن الميلادي[١٩٢] .

وفي المملكة العربية السعودية عثر الآثاريون على خزف صيني يرجع إلى أسرة يوان ، هذا بالإضافة على عثورهم على عملة صينية نادرة في منطقة القطيف يعود تاريخها إلى الفترة من ٩٩٨ ـ ١٠٩٧م «أسرة سونغ»[١٩٣] ، كما يحتفظ عمدة القطيف السيد محمد الفارسي بالمملكة العربية السعودية بمجموعة هامة من النقود الصينية القديمة عثر عليهاأثناء عملية الحفر لمد أنابيب البترول[١٩٤] .

ويلقى الباحث السعودي الدكتور علي بن إبراهيم غبان رئيس قسم الآثار والمتاحف في جامعة الملك سعود المزيد من الضوء على أدلة الاتصالات بين الصين والمملكة العربية السعودية فيشير إلى أنه تم العثور على أنواع متعددة من الخزف الصيني في مواقع الجار والحوراء والعوينيد وعتر والسرين والشرحة وهي موانىء على البحر الأحمر ويضيف كما عثر على خزف صيني في ميناء العقير على الخليج العربي وفي المواقع الإسلامية بمنطقة الخرج القريبة من الرياض وفي مواقع الربذة ، وفي موقع ضريه بمنطقة القصيم ، وفي موقع المابيات الواقع بمنطقة العلا وفي موقعي البدع وبدا الواقعين بمنطقة تبوك ، ومعظم هذه الكسر الخزفية تعود إلى عصر أسرتي تانغ ٦١٨ ـ ٩٠٧م وسونغ ٩٦٠ ـ ١٢٧٩م[١٩٥] .

إن العثور على عدد كبير من قطع النقود يرجع إلى أسرة سونغ بالإضافة إلى مجموعات الأواني الخزفية التي عثر عليها الآثاريون على طول الساحل الممتد من البصرة إلى عدن تقيم الدليل على التبادل الغني بين الصين وشبه جزيرة العرب .

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن علاقات منطقة شبه الجزيرة العربية ببلاد الصين علاقات تعود إلى فترات سابقة للإسلام ، إلا أن هذه العلاقات شهدت دفعة قوية إبان فترة أسرة تانغ الملكية ٦١٨ ـ ٩٠٧م المعاصرة لبدء الدعوة الإسلامية والخلافة الراشدة والخلافتين الأموية والعباسية ، حيث توافد في هذه الفترة التجار والرحالة والمبعوثون الديبلوماسيون ، والدعاة الدينيون من شبه جزيرة العرب إلى الصين لنشر الديانتين الإسلامية والمسيحية .

حاولنا في هذه الدراسة أن نساهم في فك ألغاز الزيارات والوفود والإشارات الغامضة لمبعوثين دبلوماسيين ورجال دعوة قيل إنهم جاءوا من المدينة إلى الصين إبان حياة الرسول الكريم ، ولم نستبعد في هذه الدراسة احتمال ورود الوفود في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الدعوة الإسلامية .

وعكست هذه الدراسة ذلك الترابط الجغرافي المدهش بين بلاد الصين وشبه جزيرة العرب الذي عكسته المصادر العربية والصينية منذ القرن الثامن حتى القرن الرابع عشر الميلادي حتى غدت هاتان المنطقتان وكأنهما إقليم واحد .

في الواقع أن الحديث عن علاقات قديمة بين شبه الجزيرة العربية والشرق الأقصى والصين حديث يتناثر هنا وهنالك في كتب التاريخ وكتب الأدب وفي كتب الغرائب والأساطير أيضا وأحيانا تسنده الأدلة الأثرية مثل النقوش اليمنية المكتشفة في بعض المواقع الأثرية في الفلبين ، فالمسعودي مثلا يتحدث بما يشبه الأساطير عن وجود يمني قديم في منطقة التبت في الصين الحالية[١٩٦] .

بل إن الباحث الإسلامي المعروف حسن الترابي ينقل عن الكاتب والفقيه الهندي أبو الكلام أزاد أن أحد أنبياء اليمن قد شارك في إحدى مراحل بناء سور الصين العظيم في زمن بعيد قبل الميلاد)[١٩٧] ، وبغض النظر عن صحة الروايات حول المستوطنات اليمنية في التبت وحديث أبو الكلام عن أنبياء يمنيين كانوا يجوبون الصين ، فإن انتشار الأساطير والروايات حول الوجود اليمني والحميري في هذا الجزء البعيد عن جزيرة العرب يدل حتما على ارتباط قديم ما بين الشرق الأقصى والصين وشعوب شبه الجزيرة العربية لا تزال الدراسات والبحوث قاصرة عن سبر أغواره .

والدراسة كشفت أيضا عن تواصل دبلوماسي فريد بين عرب شبه الجزيرة العربية والصين

امتد منذ القرن السابع وحتى نهاية أسرة مينغ ، فهذه المنطقة كما هو معروف كانت أول من أرسل مبعوثين دبلوماسيين إلى الصين وذلك في عام ٦٥١م عندما أرسل الخليفة عثمان بن عفان وفدا رسميا إلى الصين ، ورغم التقلبات السياسية الدرامية في العالم القديم نلاحظ أن أمراء وحكام شبه جزيرة العرب احتفظوا دون غيرهم من ملوك وأمراء العرب الآخرين بعلاقاتهم مع ملوك الصين حتى عام ١٥٤٣م على أقل تقدير ، كما سبقوا غيرهم من حكام العرب في استئناف علاقاتهم مع الصين وذلك في عام ١٩٣٩م عندما أعلنت المملكة العربية السعودية رسميا إقامة علاقات دبلوماسية مع جمهورية الصين[١٩٨] .

في مسار هذه الدراسة لاحظنا ذلك الدور الفريد الذي قام به خبراء عمانيون في إدارة تجارة الصين الخارجية وخصوصا إبان عصر أسرة سونغ الملكية إذ قام تجار يعتقد بأنهم عمانيون بإدارة الصين الخارجية لعقود طويلة وساهموا في إنشاء أول مناطق حرة في العالم القديم في موانئ Guangzhou, Hangzhou, Quangzhau وغيرها .

لا تتفق هذه الدراسة مع بعض الآراء التي تقطع بعدم وصول السفن الصينية (ونعني بالسفن الصينية تلك السفن التي يقودها ويمتلكها بحارة وتجار صينيون) إلى موانئ الخليج العربي قبل وإبان الفترة العباسية ، مثل الاجتهاد الذي أطلقه الباحث الأمريكي جورج فضلو حوراني الذي أشار في عمله القيم الملاحة في المحيط الهندي إلى أن زيارات السفن الصينية إلى منطقة الخليج العربي لم تتم إلا بعد عدة قرون من ظهور الإسلام ،[١٩٩] وقد فسر حوراني عبارات وردت في المصادر العربية مثل عبارة سفن الصين التي وردت عند المسعودي بأنها سفن عربية أو فارسية تعمل في التجارة مع الصين ، وقد لاحظنا في مسار هذه الدراسة أن كتابا عربا كثيرين رددوا مقولات حوراني دون أي حذر يذكر .

إنني أرى من الأهمية بمكان أن نأخذ اجتهادات حوراني بشيء من الحذر والتدقيق لأن احتمال وصول سفن صينية إلى موانئ شبه الجزيرة العربية في زمن ما قبل وبعد ظهور الإسلام يظل أمرا محتملا ، فطريق الحرير البحري بين الصين وهذه المنطقة ظل مفتوحا منذ القرن الأول قبل الميلاد وكانت المنطقة بحد ذاتها معروفة ومطروقة بالنسبة للصينيين إذ وصلها السفير الصيني Zhang Qian عن طريق البر وظهر في البلاط الفارسي في حوالي عام ١١٥ق م[٢٠٠] . كما وصل على نفس الطريق المبعوث الصيني Gang Yin عام ١٠٠م ، ولو سلمنا بأن الصينيين لم يطرقوا المنطقة عن طريق البحر في ذلك الوقت فإن المصادر الصينية تحمل أخبار وصول مراكب

صينية إلى أماكن نائية مثل موانئ السودان الشرقية التي وصلها بحارة وتجار صينيون ظهروا أمام البلاط الكوشي في شمال السودان في حوالي عام ٢٢٦م[٢٠١] ، وتشير المصادر الصينية إلى أن هؤلاء التجار قدموا من الهند على متن سفينة ضخمة بسبعة صواري[٢٠٢] .

والمصادر الصينية تشير إلى وصول سفن صينية إلى ميناء Adulis (مصوع في أثيوبيا) في حوالي القرن الثالث الميلادي[٢٠٣] . ولا يفوتنا أنه في نفس التاريخ الذي وصلت فيه سفن الصين إلى مملكة كوش في شمال السودان كان الطريق البحري بين الصين والخليج العربي يعج بالسفن الفارسية والعربية والهندية المشغولة بالإبحار أو العودة من الصين والهند ، فماذا يمنع سفن الصين التجارية التي أبحرت من الهند إلى البحر الأحمر من الإبحار من الهند إلى موانئ أكثر قربا وأكثر ازدهارا مثل موانئ شبه جزيرة العرب ، إن لم يكن في ذلك الوقت فإبان عقود القرنين الخامس والسادس الميلادي اللذين نشطت فيهما التجارة في المحيط الهندي ، ومالنا نذهب بعيدا وأمامنا عبارات واضحة حفظها لنا المؤرخ الجليل المسعودي ، يقول المسعودي حول هذا الأمر «إن مراكب الصين تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس والأبله ، وكذلك كانت المراكب تختلف إلى هناك» . وكان المسلمون كما يقول تراتشكوفسكي عندما دخلوا الأبله وجدوا بها سفنا صينية[٢٠٤] ، والجدير بالذكر أن التحقيقات التي أجرها العالم الفرنسي بيليو ذهبت إلى أن سفينة صينية هي التي حملت Du Huan من موانئ شبه الجزيرة العربية إلى Guang Zhou وذلك في حوالي عام ٧٦٢م .

ولا يستبعد باحثون معاصرون مثل Needham وعبدالرحمن ناجونغ وهادي العلوي وصول سفن صينية إلى موانئ الخليج العربي في حدود القرنين الخامس والسادس الميلادي ، وإلى أن يظهر مزيد من الأدلة حول الملاحة الصينية في موانئ شبه الجزيرة العربية قبل وبعد العصر العباسي سيظل احتمال وصول سفن صينية عبر طريق الحرير البحري إلى موانئ شبه جزيرة العرب في وقت مبكر قبل أو في بداية العصر الإسلامي أمرا محتملا .

نلاحظ مجرى هذه الدراسة الدور الكبير الذي لعبته موانئ شبه جزيرة العرب في التبادلات التجارية والثقافية بين الصين والبلاد العربية ، وذلك للموقع الاستراتيجي الذي احتلته موانئ الخليج العربي التي ربطت بشكل حيوي العاصمة العباسية بغداد بموانئ وتجارات الشرق الأقصى ، كما كان لعمان بحكم موقعها المطل على الخليج العربي والمحيط الهندي وأسواقها الغنية ورجالها علماء البحر الأفذاذ والبحارة المهرة دور كبير في تنشيط ورفد العلاقات الصينية العربية .

على الصعيد الاقتصادي ظلت منطقة شبه الجزيرة العربية تمثل ولعدة قرون شريكا تجاريا رئيسيا للصين ، حيث ارتبطت الحركة التجارية في الصين بالحركة التجارية في شبه الجزيرة العربية بشكل وثيق ، وكان ازدهار الحركة التجارية في الأسواق الصينية تنعكس آثاره مباشرة على حياة الناس في موانئ عمان والبحرين وغيرهما بينما تضطرب حياة الناس إذا ما اضطربت حركة التجارة مع الصين .

وأخيرا تخلص الدراسة إلى أن فترة حكم أسرتي تانغ وسونغ في الصين قد شكلتا الأساس القوي الذي قام عليه التواصل التجاري والثقافي والدبلوماسي المدهش بين شبه جزيرة العرب والصين والمستمر إلى يومنا هذا .

الهوامش

١ ـ فيصل السامر ، *الجذور التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى* ، دار الطليعة ، مطبوعات وزارة الإعلام العراقية ، ١٩٧٧ ، ص ٩ .

٢ ـ مجموعة من الباحثين ، *عمان وتاريخها البحري* ، وزارة الإعلام والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩م ، ص ٢٥ ، انظر أيضا ، Hourani George Fadlo, ***Arab Sea Faring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medievel Times,*** Princeton New Jersey Press, 1951, p.17.

٣ ـ *المرجع السابق* ، ص ٢١ .

* الأقاليم الغربية أو المنطقة الغربية أو الغرب التي يرد ذكرها بكثرة في المصادر الصينية القديمة يقصد بها كل المنطقة الممتدة من حدود الصين غربا إلى ساحل البحر المتوسط حيث تدخل كل المنطقة العربية والهند ضمن هذا الفهم الجغرافي الصيني .

* يتفق الكثير من المؤرخين الصينيين أن Tiao-Zhi المذكورة في بعض المصادر الصينية القديمة هي العراق الحالية .

٤ ـ Craig Harris, Lillian, ***China Considers the Middle East,*** I.B Tauris & Co. Ltd Publisher, London, New York 1993, p. 3.

* Pan Zhao هو شقيق المؤرخ الصيني Ban Ku (٣٢ ـ ٩٢م) الذي كتب التاريخ الرسمي لأسرة هان (تاريخ الفترة الأولى) .

* حقق الكثير من الباحثين مثل Hirth ، Ta-Tsin بأنها سوريا الحالية .

٥ ـ Hou-han Shu, Chapter 88, (Account of the Country of Tiao-Zhi and An-chi) باللغة الصينية .

٦ ـ *المصدر السابق* ، وانظر أيضا Tung Dian Acount of Tiao-Zhi Chapter 192 (باللغة الصينية) .

٧ ـ ***The Periplus of the Erythraean Sea,*** Translated from Greek and Annotated by Wilfred H. Schoff, Longmans Green, New York, 1912, p. 36, Ch. 36.

٨ ـ Sima Qian, Shi-chi, Chapter 123 (باللغة الصينية) .

٩ـ *Ibid*.

١٠ـ Tung Dian, ***Op. Cit***.

١١ـ Hirth, F. ***China and the Roman Orient,*** Leipsig & Munich: 1885, George Hirth. Shanghai & Hongkong: Kellyes Walsh, Reprinted in China 1939, p. 150.

١٢ـ ***Ibid***, p. 169.

١٣ـ مجموعة من الباحثين ، ***عمان وتاريخها البحري*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢ .

١٤ـ على بن إبراهيم حامد غبان ، ***طريق الحرير البحري وتاريخ العلاقات التجارية بين الصين وجزيرة العرب*** ، ورقة مقدمة في محاضرات الأسبوع الثقافي الخليجي في بكين ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧م ، ص ٧ .

١٥ـ ***The Periplus of the Erytharaean Sea,*** Op. cit, p. 30, Ch. 12.

١٦ـ ***Ibid.***, p. 28, Ch. 16. p. 30, Ch. 23, 24. p. 31, Ch. 26. p. 32, Ch. 27, 28. p.34, Ch. 32, p. 36, Ch. 35, 35. p. 45, Ch. 57.

١٧ـ ***Ibid.***, p. 48, Ch. 64, 65.

١٨ـ ***Ibid.***, p. 28, Ch. 16. p. 32, Ch. 26. p. 32, Ch. 27. p. 36, Ch. 35, 36.

١٩ـ ***Chau Ju-Kua, His Work on the Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteen Century Entitled, Chu-Fan-Chi,*** translated from the Chinese, and annoted by Friedrich Hirth and W. W. Rockhill. Printed Office of the Imperial Academy of Science, 1911, p. 4.

٢٠ـ Zhang Jun-Yan. The Relations Between China and the Arabs in the Early Times. Ministry of National Heritage and Culture, Muscat, 1983. ***The Journal of Omani Studies,*** Reprinted from Volume 6, part 1, p. 92.

٢١ـ ابن الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر*** ، الجزء الثاني ، مطبعة السعادة بمصر ، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٣ـ ١٠٤ .

٢٢ـ ابن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، ***العقد الفريد*** ، السلطان وعدل ساعة ، مكتبة صادر ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص ٧ ، ٩ .

٢٣ ـ جعفر كرار أحمد ، ***العلاقات الصينية العربية*** ، رسالة دكتوراه ، جامعة نانجين ، إشراف الأستاذ Chen De Zhe والأستاذ المساعد Hua Tao جامعة نانجين ، ١٩٩٥م ، ص ١٢ ، وانظر عبدالرحمن ناجون ، **العلاقات بين الصين والعرب في القرون الوسطى** ، ورقة غير منشورة ، معهد اللغات الأجنبية الثاني ، بكين . انظر رضوان ليو لين روي ، **العلاقات الصينية العربية في العصور القديمة** ، ورقة مقدمة في اللقاء الثقافي الصيني المغربي ، السفارة المغربية بكين ١٩٨٨م .

٢٤ ـ Needham, Jeseph. *Science and Civilization in China.* Volume 1, Cambridge University Press, first Published 1994, reprinted 1979, p. 179.

٢٥ ـ مونيك كارفران ، ***مدينة صحار العمانية وعلاقتها بطرق الحرير البحرية*** ، ورقة مقدمة إلى الندوة الدولية لطرق الحرير بجامعة السلطان قابوس ، الفترة من ٢٠ إلى ٢١/ ١١/ ١٩٩٠ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مشروع منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) لدراسة طرق الحرير ، ١٩٩١ ، ص ٨٩ .

٢٦ ـ رضوان ليو روي ، اللغة العربية في الصين ، الماضي والحاضر ، مقالة من جزئين ، الجزء الأول ، ***مجلة بناء الصين*** ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٩م ، ص ٣٢ .

٢٧ ـ Broom Hall, Marshall. ***Islam in China, A Neglected Problem,*** London, Morgan and Scotts, 1910, p.8.

٢٨ ـ إبراهيم فنغ جين يوان ، تعريب محمود يوسف لي هوا ين ، ***الإسلام في الصين*** ، بكين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ ، ص ٧ .

٢٩ ـ ***المرجع السابق نفس الصفحة*** .

٣٠ ـ كتاب ***تاريخ أسرة تانغ القديم*** (Old Tang Shu) الفصل ١٤٨ ، سجلات حول العرب (باللغة الصينية) .

٣١ ـ ***نفس المصدر*** .

٣٢ ـ F. S. Drake. Mohammedanismin Tang Dynasty, Monvmenta University Catholic Serica, ***Journal of Oriental Studies of the Peking***, Vol. 111, 1943, p. 32-30. See also Leslie, Donald Daniel, ***Islam in Traditional China***, Canberra College of Advanced Education, 1986, p. 96. See also:

إبراهيم فنغ جين يوان ، ***مرجع سبق ذكره*** ، ص ١ ـ ١١ .

٣٣ ـ Lao Qing ، المسلمون في مدينة يانجو الماضي والحاضر ، ***مجلة بناء الصين*** ، العدد رقم ٩ ، سبتمبر ١٩٨٩م ، ص ٤١ ، وانظر : إبراهيم فنغ جين يوان ، مرجع سبق ذكره ، ص ١ ـ ٥ ، وأيضا : Leslie, Donald Daniel, op. cit. p. 69-78 .

٣٤ ـ Lao Qing ، ***المسلمون في مدينة يانجو*** ، مرجع سبق ذكره ، وانظر : إبراهيم فنغ جين مرجع سبق ذكره ، ص ٩ .

٣٥ ـ إبراهيم فنغ ، ص ٩ .

٣٦ ـ إبراهيم فنج جين يان ، ص ٨ ، انظر أيضا Lao Qing ، ***المسلمون في مدينة يانجو الماضي والحاضر*** ، مرجع سبق ذكره .

٣٧ ـ إبراهيم فنغ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨ .

٣٨ ـ ***المرجع السابق ، نفس الصفحة*** .

٣٩ ـ ***المرجع السابق*** .

* حول ذات الموضوع انظر جعفر كرار أحمد ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤ ـ ١٨ .

٤٠ ـ زيارة علمية للكاتب لدراسة النقوش والكتابات العربية لمجموعة قبور لعرب ومسلمين تعود للفترة من أسرة تانغ الملكية إلى أسرة مينغ الملكية في مدينة Quangzhou ، يونيو ١٩٩٧م .

٤١ ـ Rev. G. Findlay Andrew, O. B. E, Islam in North-West China to Day, ***Journal of the Royal Central Asian Society***, Vol. XIX, January 1932, p. 90. See also, O. C. Crawford. The ***Apeal of Mohammedanism to the Chinese Mind.*** No date, Yen Ching University Library, Soochow, no date, p. 2.

٤٢ ـ ابن الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير ، ***الكامل في التاريخ*** ، علق عليه وراجعه نخبة من العلماء ، الجزء الثاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ١٤٣ .

٤٣ ـ ابن الحسن بن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر*** ، الجزء الثاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٨ .

٤٤ ـ هادي العلوي ، من تاريخ العلاقة بين الحضارتين الصينية والإسلامية ، ***مجلة المدى الثقافية*** ، نيقوسيا ، قبرص ، العدد الأول ، ١٩٩٣ ، ص ٢٧ .

٤٥ ـ السيرافي ، أبو زيد ، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين** ، منشورات البصري ، بغداد ، ١٩٦١م ، طبعة جديدة لكتاب سلسلة التواريخ والمتضمن رحلة سليمان التاجر المسمى

بأخبار الصين والهند وما أضافه عليها أبو زيد الحسن السيرافي ، ص ٧٢ ـ ٧٣ ، وانظر المسعودي ، *مروج الذهب* ، الجزء الأول مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٤ ،

وأيضا : ***An Ancient Account of India and China. By two Mohamedans travellers, who went to those parts in 9th century***. Translated from Arabic by Eusebius Renovdot, London, MDCCXXXIII, p. 51-58.

٤٦ ـ كتاب *تاريخ أسرة تانغ القديم* Old Tang Shu ، الفصل ١٩٨ .

٤٧ ـ كتاب *تاريخ أسرة تانغ القديم سجلات حول Tashi* (العرب) الفصل ١٤٨ ، باللغة الصينية .

٤٨ ـ كتاب *تاريخ أسرة تانغ الجديد* Xin Tang Shu ، الفصل ٢٢١ ، باللغة الصينية .

٤٩ ـ Broom Hall, Marshal, op. cit., p. 12

٥٠ ـ كتاب *تاريخ أسرة تانغ الجديد* ، الفصل ٢٢١ باللغة الصينية ، وانظر Broom Hall, op. cit., p. 13.

٥١ ـ *المرجع السابق* ، نفس الصفحة .

٥٢ ـ *المرجع السابق* ، نفس الصفحة .

٥٣ ـ كتاب *تاريخ أسرة تانغ القديم* Old Tang Shu ، سجلات حول الأمم الغربية ، الفصل ١٩٨ باللغة الصينية .

٥٤ ـ كتاب *تاريخ أسرة تانغ القديم* ، المصدر السابق .

٥٥ ـ انظر كتاب *تاريخ أسرة تانغ القديم* ، الفصل ١٩٨ ، وأيضا Ce-Fu-Yuan Gui (أرشيف الموسوعة الامبراطورية) ، الفصل ٩٧٦ ـ ٩٧٠ ، باللغة الصينية . وانظر أيضا فيصل السامر ، الجذور التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٦ .

٥٦ ـ عادل محيي الدين الألوسي ، *تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي* ، العراق ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٤ .

٥٧ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، *تاريخ الرسل والملوك* ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الجزء السابع ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ٦١٤ ، وانظر ابن الأثير ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الخامس ، ص ١٤ .

٥٨ ـ السيرافي ، أبو زيد ، ***رحلة السيرافي إلى الهند والصين*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤ ، وانظر :

An Ancient Account of India and China, op.cit., p. 7-8.

٥٩ ـ ابن الأثير ، ***الكامل في التاريخ*** ، الجزء الخامس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤ .

٦٠ ـ المقدسي المعروف بالبشاري ، ***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*** ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٠٦ ، الطبعة الثانية ، ص ٩٢ .

٦١ ـ المقدسي ، ***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٥ .

٦٢ ـ أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبه ، ***المسالك والممالك*** ، ويليه نبذة عن كتاب الخراج وصفة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي ، بغداد ، مكتبة المثنى ، أبريل ١٨٨٩ ، ص ٦١ .

٦٣ ـ أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ، ***كتاب الأعلاق النفيسة*** ، المجلد السابع ، طبع في مدينة ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٩٢ ، ص ٣١٣ .

٦٤ ـ المقدسي ، ***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٧ .

٦٥ ـ ***المصدر السابق*** ، نفس الصفحة .

٦٦ ـ ابن رسته ، ***مصدر سبق ذكره*** ، ص ٨٩ .

٦٧ ـ المسعودي ، ***التنبيه والإشراف*** ، مراجعة عبدالله إسماعيل الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٥١ .

٦٨ ـ ابن خرداذبه ، ***مصدر سبق ذكره*** ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

٦٩ ـ ***المصدر السابق*** ، نفس الصفحات .

٧٠ ـ أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه ، ***مختصر كتاب البلدان*** ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٨٥م ، ص ٩ .

٧١ ـ الشيخ ابن إسحاق الفارسي المعروف بالإصطخري ، ***كتاب الأقاليم*** ، حققه ، ج . هـ . مولر ، Beckeiane, Gothae ، ١٨٣٩ ، ص ١٥ .

٧٢ ـ ***مجلة بناء الصين*** ، المواصلات بين يانجو والبلاد العربية في العصر القديم ، يونيو ١٩٩٠ ، العدد ٦ ، ص ١٧ .

٧٣ ـ السيرافي ، أبو زيد ، ***رحلة السيرافي إلى الهند والصين*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤ ـ ٣٨ ، وانظر ، ابن خرداذبه ، مصدر سابق ، ص ٦٢ ، وأيضا سليمان إبراهيم العسكري ، ***التجارة***

والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي ، القاهرة ، مطبعة المدني ، أكتوبر ١٩٧٢ ، ص ١٣٢ .

٧٤ ـ ابن خرداذبه ، *مصدر سبق ذكره* ، ص ٦٣ ـ ٦٦ ، أيضا : ***Ancient Account of India and China, op. cit.*** ، انظر سليمان إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

٧٥ ـ السيرافي ، أبو زيد ، *رحلة السيرافي إلى الصين والهند* ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤ ـ ٣٨ ، وانظر Ancient Account of India and China, op. cit., P. 9-11 ، وأيضا سليمان إبراهيم العسكري ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٣ .

٧٦ ـ المسعودي ، *مروج الذهب* ، الجزء الأول ، مصدر سابق ، ص ١٣٨ .

٧٧ ـ برزك بن شهريار الناخداة الرام هرمزي ، *كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزائره* ، الطبعة الأولى ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨٣ ، ص ٦٤ ، ٩١ .

٧٨ ـ فضلو حوراني ، جورج ، *العرب والملاحة في المحيط الهندي* ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر ، القاهرة نيويورك ، مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة ، أبريل ١٩٥٨م ، ص ٢٢١ .

٧٩ ـ Zhang Jun Yan, ***op. cit.***, p. 90-91 .

٨٠ ـ Lao Qing ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ٦٧ .

٨١ ـ Chau-Ju-Kua, ***op. cit.***, p. 10-14 .

٨٢ ـ Lao Qing ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ١٧ .

٨٣ ـ المسعودي ، *مروج الذهب* ، الجزء الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٠ .

٨٤ ـ Du Huan Travel's, Quated from Du You's Tung Dian ، باللغة الصينية .

٨٥ ـ Zhang Guang Da, An out Line of the Historic Relations between China and Arabs in the Early era, eidted by Zhou Yi Liang, ***The History of Sino-Foreign Cultural Intercourse*** (Hunan the People's Publishing House), 1987, p. 754, (In Chinese Language).

٨٦ ـ عبدالمنعم عامر ، *عمان في أمجادها البحرية القاهرة* ، مطبعة سجل العرب ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢ ، وانظر أيضا : Zhang Guang Da ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ٧٥٣ .

٨٧ ـ المسعودي ، *مروج الذهب* ، الجزء الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٨ ، وانظر : برزك بن شهريار الناخداه ، كتاب *عجائب الهند* ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ .

٨٨ـ Zhang Guang Da, ***op. cit.***, p. 753 ، وانظر : مونيك كافران ، ***مدينة صحار العمانية وعلاقتها بطرق الحرير البحرية*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٢ .

٨٩ـ السيرافي ، أبو زيد ، رحلة السيرافي إلى الهند والصين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٦ ، انظر أيضا : ***An Anciert Account of India and China, op. cit., p. 12*** .

٩٠ـ حوراني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠ ، وانظر بدر الدين حي الصيني ، العلاقات بين الصين والعرب ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٠ ، ص ١١٨ ، وللمزيد من المعلومات حول الصادرات العربية إلى الصين انظر ***Chou Ju-Kua, op. cit.,*** p. 19-116 ، وسليمان إبراهيم العسكري ، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٣ .

٩١ـ أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه ، ***مختصر كتاب البلدان*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٦ ، ٢٥١ ، وانظر : أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبه ، ***المسالك والممالك*** ، ***مصدر سبق ذكره*** ، ص ص ٧٠ ، ٧١ ، وأيضا : السيرافي ، أبو زيد ، ***رحلة السيرافي إلى الهند والصين*** ، مصدر سبق ذكره ، ص

٩٢ـ Zhang Yin Lan and Zhu Jia Qin (eds), ***Collections of Information about the Communication Between China and the Western Countries,*** Vol. 1, China Press House, Beijing, 1974, pp. 165, 168.

٩٣ـ علي حسين السليمان الناصر ، ***النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م*** ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ ، الطبعة الأولى ، ص ٧٩ .

٩٤ـ السيرافي ، أبو زيد ، ***رحلة السيرافي إلى الهند والصين*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٢ ، وانظر Ancient Account of India and China, op. cit., p. 41-42 .

٩٥ـ المسعودي ، ***مروج الذهب*** ، الجزء الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٧ ـ ١٣٩ ، وانظر : ابن الأثير ، ***الكامل في التاريخ*** ، الجزء السادس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ ـ ١٩ .

٩٦ـ علي حسين السليمان الناصر ، ***مرجع سبق ذكره*** ، ص ٢٠٠ .

٩٧ـ السيرافي ، أبو زيد ، ***رحلة السيرافي إلى الهند والصين*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ، وانظر : المسعودي ، ***مروج الذهب*** ، الجزء الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٩ .

٩٨ ـ السيرافي ، أبو زيد ، *رحلة السيرافي إلى الهند والصين* ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ ، وانظر Zhang Jun-Yan, op. cit., p. 94 .

٩٩ ـ بندلي جوزي ، *تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام* ، مطبعة الكرمل ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨١م ، ص ٤٥ ـ ١١٦ . وانظر Hourani, George Fadlo, op. cit., p. 78 .

١٠٠ ـ مجموعة من الباحثين ، *عمان وتاريخها البحري* ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٣ .

١٠١ ـ Chau-Ju-Kua, ***op. cit.***, p. 203 .

١٠٢ ـ Zhang Jun-Yan, ***op. cit.***, p. 100 .

١٠٣ ـ Wu Yue Bei Shi (***Outline of the Wu and Yue History***), Vol. 2. (In Chinese Language).

١٠٤ ـ Chau-Ju-Kua, ***op. cit.***, p. 117 .

١٠٥ ـ القزويني ، *آثار البلاد وأخبار العباد* ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٥٩ .

١٠٦ ـ Chau-Ju-Kua, op. cit., p. 19 .

١٠٧ ـ ***Ibid*** .

١٠٨ ـ ***Ibid*** .

١٠٩ ـ See Old and New Tang Shu, (In Chinses Language), see also, Chau-Ju-Kua, op. cit., see also, Wu Yue Bei Shi, Vol. 2, (In Chinese Language), see also, Song Shu (In Chinese Language), see also, Zhang Guang Da, op. cit. (In Chinese Language), see also, Zhang Jun Yan, op. cit.

* إنني مدين بالكثير لأستاذي المؤرخ الصيني المخضرم بروفسور Chen De Zhe في اطلاعي على الكثير من المعلومات والمراجع الصينية الهامة كما قام رغم مشغولياته الكثيرة في مساعدتي على الترجمة والحصول على الكثير من المعلومات الهامة من مصادرها الأصلية والمعروف عن البروفسور Chen أنه يكن احتراما كبيرا للثقافة والتاريخ العربي .

١١٠ ـ Zhang Jun-Yan, ***op. cit.***, p. 100 .

* لم يرد اسم مكة في المصادر الصينية إبان أسرة تانغ الملكية ٦١٨ ـ ٩٠٧م ، ولم يظهر في هذه المصادر إلا إبان أسرة سونغ الملكية ٦٩٠ ـ ١٢٧٩م ، تحت اسم Ma-Kia ، أما أسرة يوان

١٢٧١ـ١٣٦٨م ، ومينغ ١٣٦٨ـ١٦٤٤م ، فقد ورد اسم مكة تحت الاسم Tian-Fang (الميدان السماوي) ولم تعط المصادر الصينية أي تبريرات لتغير الاسم . انظر في هذا الصدد : Chau-Ju-Kua, ***op. cit.***, p. 125, see also, Ming-Shi.

١١١ـ See Chau-Ju-Kua, ***op. cit.***, pp. 117, 125, 130, 133, see also, Zhang Jun Yan, ***op. cit.***, p. 101.

١١٢ـ . Chau-Ju-Kua, ***op. cit.***, pp. 124-125

١١٣ـ . ***Ibid***

١١٤ـ . ***Ibid***, pp. 130, 133

١١٥ـ . ***Ibid***, p. 116-133

١١٦ـ . ***Ibid***, p. 195-196

١١٧ـ . ***Ibid***, p. 21

١١٨ـ . Zhang Jun Yan, ***op. cit.***, p. 101

١١٩ـ إبراهيم فنغ جين ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ١٤٢ .

١٢٠ـ . Zhang Guang Da, ***op. cit.***, p. 756

١٢١ـ . Chau-Ju-Kua, ***op. cit.***, p. 22

١٢٢ـ . Ibid, p. 116, see also, Zhang Guang Da, ***op. cit.***, p. 761

١٢٣ـ Thsu Shao Quan ، العلاقات الودية بين العرب والصين إبان أسرة سونغ الملكية في الصين ، *مجلة بناء الصين* ، العدد السادس ، يونيو ١٩٧٩م ، ص ٦٦ .

١٢٤ـ . Zhang Guang Da, ***op. cit.***, p. 774

١٢٥ـ . ***Ibid***, pp. 753, 757

١٢٦ـ Ibid, p. 757, see also, Zhang Jun Yan, op. cit., p. 102, see also, Song Hui, Yao, ***op. cit.***

١٢٧ـ . Zhang Jun Yan, ***op. cit.***, p. 102

١٢٨ـ . Zhang Guang Da, ***op. cit.***, p. 757

١٢٩ـ . Zhang Jun Yan, ***op. cit.***, p. 102

١٣٠ـ Song Hui Yao ، وأنظر بدر الدين حي الصيني ، *تاريخ الإسلام في الصين الماضي والحاضر* ، مطبعة إنتشا ، لبنان ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

١٣١ـ Jitsuzo Kuwabara, "***On Pu Shou-Keng, Memoirs of the Research Department of the Tokyo Bunko, the Oriental Library***, No., 2, Tokyo, the Toyo Bunko, 1928, p. 1-2.

١٣٢ـ Song Shu, Chapter 490. (In Chinese Language) .

١٣٣ـ ***The Fihrist of Al-Nadim, a Tenth Centurey Survey of Muslim Culture***, Volume 1, Doge, Bayard (Editor), New York, Columbia University Press, 1970, p. 836-837.

١٣٤ـ محمود يوسف لي هوا ين ، ***المساجد في الصين*** ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، ١٩٨٩ ، ص ٢٥ـ٢٧ .

١٣٥ـ عبدالله محمد إبراهيم اللواتي ، ***رحلة ابن بطوطة*** ، بيروت ، دار بيروت للطباعة ، ١٩٦٤م ، ص ١٣٣ ، وانظر Yule, ***Cathay and the Way Thither***, London, Volume 2, 1866, p. 486.

١٣٦ـ عبدالله محمد إبراهيم اللواتي ، ***رحلة ابن بطوطة*** ، مصدر سبق ذكره ، الصفحات : ٥٦٨ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ .

١٣٧ـ مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة ***تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*** ، وقف على تهذيبه أحمد العوامري بك ومحمد جاد المولى بك ، الجزء الثاني ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

١٣٨ـ ***المصدر السابق*** ، ص ٢٥٢ .

١٣٩ـ زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، ***آثار البلاد وأخبار العباد*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤٦ ، ٥٤ .

١٤٠ـ توفيق اليوزبكي ، ***تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي*** ، مطابع وزارة التعليم والبحث العلمي ، العراق ، جامعة الموصل ، ١٩٧٥ ، ص ٨٥ .

١٤١ـ مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة ***تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*** ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٤ .

١٤٢ـ شمس الدين بن عبدالله محمد أبو طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ الربوة ، ***نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*** ، طبع في مدينة بطرسبورغ المحروسة في مطبعة الأكاديمية الامبراطورية ، ١٨٦٥م ، ص ٢١٦ .

١٤٣ ـ توفيق اليوزبكي ، *تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي* ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٠٨ ، ١١١ .

١٤٤ ـ شوقي عبدالغني عثمان ، *تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية* ، ١٦١ ـ ١٤٩٨م ، عالم المعرفة ، يوليو ١٩٩٠م ، ص ٢٠٧ .

١٤٥ ـ Zhang Xin Lan and Zhu Jia Qin, ***op. cit.***, p. 306 .

١٤٦ ـ Zhang Guang Da, ***op. cit.***, p. 759 .

١٤٧ ـ ***Ibid*** .

١٤٨ ـ Yuan Shi (History of Yuan Dynasty), Chapter 190, p. 406. (In Chinese Language).

١٤٩ ـ انظر جعفر كرار أحمد ، *العلاقات الصينية العربية* ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٩ .

١٥٠ ـ CH'EN Yuan. ***Western and Central Asians in China Under the Mongols, Their Transformation into Chinese***, first published by Monumenta Serica at the University of California, Los Angeles 1966, Paper back edition Nettetal 1989, p. 164-165.

١٥١ ـ Rossabi, Morris. The Muslims in the Early Yuan Dynasty, D. Lang Lois, Jr. John (Editor). ***China Under Mongol,*** Princeton University Press, New Jersey, 1981, p. 288-289.

١٥٢ ـ يحيى لين سونغ ، السيد شمس الدين مساهمة عظيفة لمسلم في بناء مناطق الصين الحدودية ، *مجلة بناء الصين* ، العدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٧٩ ، وانظر أيضا : *المسلمون في الصين* ، كتيب تصدره *مجلة بناء الصين* ، سلسلة ثقافية (١) ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م ، ص ١٢١ .

١٥٣ ـ لوثروب ستودارد ، ترجمة عجاج نويهض ، علق عليه الأمير شكيب أرسلان ، *حاضر العالم الإسلامي* ، المجلد الثاني ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٥٢هـ ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ .

١٥٤ ـ لي يانغ شنغ ، ملاحظات في إحياء ذكرى سعيد بن أبو علي ، *دراسة حول العلاقة بين العمانيين والصينيين في الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر* ، ورقة مقدمة

للندوة الدولية لطرق الحرير بجامعة السلطان قابوس في الفترة من ٢٠ إلى ٢١/ ١١/ ١٩٩٠ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، حصاد الندوة الدولية لطرق الحرير ، المجلد الأول مطبعة مزون ، ١٩٩١م ، ص ١٧٣ ـ ١٧٧ .

١٥٥ ـ *المرجع السابق* ، ص ١٦٧ .

١٥٦ ـ Huo Tao, Cheng Ho 1371-1433, Paper Presented at the UNESCO International Seminar on Martime Silk Route, Lipson, 1992. For more Information about Zhen He Expeditions see also Louise Levathes, ***When China Ruled the Seas***, Oxford University Press, 1994.

١٥٧ ـ Ming Shi, Chapter 324. (In Chinese Language) .

١٥٨ ـ ***Ibid*** .

١٥٩ ـ ***Ibid*** .

١٦٠ ـ ***Ibid***, Chapter 326 .

١٦١ ـ ***Ibid*** .

١٦٢ ـ Ibid, Chapter 332, see also, F. Hirth, ***Ancient Porcelain, A Study in Chinese Mediaeval Industry and Trade***, Leipsic & Munich: George Hirth, 1888, p. 63-64.

١٦٣ ـ Ming Shi, Chapter 332 .

١٦٤ ـ ***Ibid*** .

١٦٥ ـ ***Ibid*** .

١٦٦ ـ ***Ibid*** .

١٦٧ ـ ***Ibid*** .

١٦٨ ـ المقريزي ، ***السلوك لمعرفة دول الملوك*** ، الجزء الرابع ، ستة أجزاء ، حقق الأجزاء الثلاثة الأولى الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وحقق الأجزاء الثلاثة الأخيرة الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ٨٧٢ ـ ٨٧٣ .

١٦٩ ـ F. Hirth. Ancient Porcelain, ***op. cit.***, p. 64-65 .

١٧٠ ـ ***Ibid***, p. 64-65 .

١٧١ـ *Ibid*. p. 65 .

١٧٢ـ المقريزي ، ***السلوك*** ، الجزء الرابع ، ***مصدر سبق ذكره*** ، ص ٨٧٢ـ٨٧٣ .

١٧٣ـ علي حسين السليمان الناصر ، ***مرجع سبق ذكره*** ، ص ١١٤ .

١٧٤ـ ***المرجع السابق*** ، ص ٢٠٣ .

١٧٥ـ بدر الدين حي الصيني ، ***العلاقات بين العرب والصين*** ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٣ .

١٧٦ـ ***المرجع السابق*** ، ص ٢٣٤ .

١٧٧ـ Zhang Xin Lan and Zhu Jia Qin, ***op. cit.***, p. 306, 333 .

١٧٨ـ F. Hirth. Ancient Porcelain, ***op. cit.***, p. 63 .

١٧٩ـ Wang Shu Kai ، طريق المسلمين الصينيين إلى مكة في العصور القديمة ، ***مجلة بناء الصين*** ، العدد الثاني ، فبراير ١٩٨٣ ، ص ٧٢ .

١٨٠ـ ***المرجع السابق*** .

١٨١ـ Zhang Guang Da, ***op. cit.***, p. 785 .

١٨٢ـ إبراهيم فنغ جين يوان ، ***مرجع سبق ذكره*** ، ص ٨٤ .

١٨٣ـ Shue Yuan ، ***المسلمون الصينيون أسئلة وأجوبة*** ، بكين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، ١٩٩١م ، ص ١٨٧ .

١٨٤ـ إبراهيم فنغ جين يوان ، ***مرجع سبق ذكره*** ، ص ٩١ .

١٨٥ـ Zhang Guang Da, ***op. cit.***, p. 785 .

١٨٦ـ ***المرجع السابق*** ، وانظر : إبراهيم فنغ جين يوان ، ص ٨٣ .

١٨٧ـ Tie Wei Ying ، المساعدات المقدمة من الشرق الأوسط للصين أثناء حرب المقاومة ضد اليابان ، ***مجلة العالم العربي*** ، شنغهاي ، العدد الثاني ، أبريل ١٩٩١ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ (باللغة الصينية) .

١٨٨ـ Mi Kami Tsugio, ***Porcelain Route***, Translated into Chinese by Zhuang Jing-Hui, Translated papers on: The Chinese Relations with the Foreign Countries, First Edition, Shanghai Translations Publishing House, 1984, p. 196.

١٨٩ـ ***المرجع السابق*** ، وانظر : علي بن إبراهيم حامد غبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠ . وأيضا : باولو كوستا ، ***الشواهد الأثرية على وجود التبادل التجاري بين التجار العمانيين***

والعالم الخارجي خاصة الشرق الأقصى قبل افتتاح طريق رأس الرجاء الصالح ، ورقة مقدمة إلى الندوة الدولية لطريق الحرير بجامعة السلطان قابوس ، الفترة من ٢٠ إلى ٢١/ ١١/ ١٩٩٠ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٠ .

١٩٠ ـ *المرجع السابق* ، ص ٣٠ ، وانظر Mi Kami Tsugio. Porcelain Route, op. cit., p. 197 .

١٩١ ـ علي إبراهيم غبان ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

١٩٢ ـ صحيفة الاتحاد الظبيانية ، أبو ظبي ، ١٠/ ١٢/ ١٩٩٧م .

١٩٣ ـ Mi Kami Tsugio. ***Porcelain Route, op. cit.***, p. 197 .

١٩٤ ـ عادل محيي الدين الألوسي ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ٢١ .

١٩٥ ـ علي بن إبراهيم غبان ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

١٩٦ ـ المسعودي ، ***مروج الذهب*** ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، الجزء الثاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

١٩٧ ـ لقاء مع الباحث الإسلامي السوداني ، حسن عبدالله الترابي ، الخرطوم ، مكاتب المؤتمر العربي الإسلامي ، ٢٢/ ٢/ ١٩٩٦م .

١٩٨ ـ Craig Harris, Lillian. ***China Considers the Middle East***, I.B Tauris & Co. Ltd. Publishes, London, New York, 1993, p. 73.

١٩٩ ـ حوراني ، جورج فضلوا ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ١١٤ .

٢٠٠ ـ Craig Harris, Lillian. ***op. cit.***, p. 3 .

٢٠١ ـ Shen Fuwie. ***op. cit.***, p. 44-45 .

٢٠٢ ـ ***Ibid***, p. 45 .

٢٠٣ ـ ***Ibid***, p. 44 .

٢٠٤ ـ عادل محيي الدين الألوسي ، *مرجع سبق ذكره* ، ص ٢١ .

مصادر ومراجع البحث

أولا المصادر العربية :

١ ـ الأندلسي ، ابن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، ***العقد الفريد*** ، السلطان وعدل ساعة ، مكتبة صادر ، بيروت ، بلا تاريخ .

٢ ـ ابن الأثير ، ابن الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد ، ***الكامل في التاريخ*** ، علق عليه وراجعه نخبة من العلماء ، الجزء الثاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣ ـ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، ***تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك*** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الجزء السابع ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف .

٤ ـ ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ، ***المسالك والممالك*** ، ويليه نبذه من كتاب الخراج وصفة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي ، بغداد ، مكتبة المثنى ، أبريل ١٨٨٩ .

٥ ـ ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر ، كتاب ***الأعلاق النفيسة*** ، المجلد السابع ، طبع في مدينة ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٩٢ .

٦ ـ ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني ، ***مختصر كتاب البلدان*** ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٨٥م .

٧ ـ السيرافي ، أبو زيد ، ***رحلة السيرافي إلى الهند والصين*** ، منشورات البصري ، بغداد ١٩٦١م ، طبعة جديدة لكتاب سلسلة التواريخ المتضمن رحلة سليمان التاجر المسمى بأخبار الصين والهند وما أضافه عليها أبو زيد الحسن السيرافي .

٧ ـ الإصطخري ، الشيخ ابن إسحاق الفارسي ، ***كتاب الأقاليم*** ، حققه ج . هـ . مولر ، Beckeriane, Gothae ، ١٨٣٩ .

٨ ـ المسعودي ، ابن الحسن علي بن الحسين بن علي ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ***مروج الذهب ومعادن الجوهر*** ، الجزء الثاني ، مطبعة السعادة بمصر ، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥٨ .

٩ ـ المسعودي ، ***التنبيه والإشراف*** ، مراجعة عبدالله إسماعيل الصاوي ، القاهرة ١٩٣٨ .

١٠ ـ برزك بن شهريار الناخداه الرام هرمزي ، ***كتاب عجائب الهندبره وبحره وجزائره*** ، الطبعة الأولى ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨٣ .

١١ ـ القزويني ، *آثار البلاد وأخبار العباد* ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٠ .

١٢ ـ ابن بطوطة ، عبدالله محمد إبراهيم اللواتي ، *رحلة ابن بطوطة* ، بيروت ، دار بيروت للطباعة ، ١٩٦٤ .

١٣ ـ مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* ، وقف على تهذيبه أحمد العوامري بك ومحمد جاد المولى بك ، الجزء الثاني ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٣٣ .

١٤ ـ شيخ الربوة ، شمس الدين بن عبدالله محمد أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي ، *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر* ، طبع في مدينة بطرسبورغ المحروسة في مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية ١٨٦٥م .

١٥ ـ المقدسي ، المعروف بالبشاري ، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٠٦ ، الطبعة الثانية .

١٦ ـ المقريزي ، *السلوك لمعرفة دول الملوك* ، ستة أجزاء ، حقق الأجزاء الثلاثة الأولى الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وحقق الأجزاء الثالثة الأخيرة الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

المراجع العربية والمترجمة:

١ ـ إبراهيم فنغ جين يوان ، تعريب محمود يوسف لي هوا ين ، *الإسلام في الصين* ، بكين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ .

٢ ـ سليمان إبراهيم العسكري ، *التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي* ، القاهرة ، مطبعة المدني ، أكتوبر ١٩٧٢ .

٣ ـ بندلي جوزي ، *تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام* ، مطبعة الكرمل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .

٤ ـ بدر الدين حي الصيني ، *تاريخ الإسلام في الصين ، الماضي والمحاضر* ، مطبعة إنتشا ، لبنان .

٥ ـ بدر الدين حي الصيني ، *العلاقات بين الصين والعرب* ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٠ .

٦ ـ توفيق اليوزبكي ، ***تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي*** ، مطابع وزارة التعليم والبحث العلمي ، العراق ، جامعة الموصل ، ١٩٧٥م .

٧ ـ سليمان إبراهيم العسكري ، ***التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي*** ، القاهرة ، مطبعة المدني ، أكتوبر ١٩٧٢ .

٨ ـ شوقي عبدالغني عثمان ، ***تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية*** ، ٦٦١ ـ ١٤٩٨م ، عالم المعرفة ، يوليو ١٩٩٠م .

٩ ـ شيوى يوان ، ***المسلمون الصينيون أسئلة وأجوبة*** ، بكين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، ١٩٩١م .

١٠ ـ عادل محيي الدين الألوسي ، ***تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي*** ، العراق ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٤م .

١١ ـ عبدالمنعم عامر ، ***عمان في أمجادها البحرية*** ، القاهرة ، مطبعة سجل العرب ، ١٩٨٠م .

١٢ ـ علي حسين السليمان الناصر ، ***النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م*** ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠م ، الطبعة الأولى .

١٣ ـ فيصل السامر ، ***الجذور التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى*** ، دار الطليعة ، باريس ، مطبوعات وزارة الإعلام العراقية ، ١٩٧٧م .

١٤ ـ فضلو حوراني ، جورج ، ***العرب والملاحة في المحيط الهندي*** ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر ، القاهرة ، نيويورك ، مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة ، أبريل ١٩٥٨م .

١٥ ـ لوثروب ستودارد ، ترجمة عجاج نويهض ، علق عليه الأمير شكيب أرسلان ، ***حاضر العالم الإسلامي*** ، المجلد الثاني ، القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٥٢هـ .

١٦ ـ مجموعة من الباحثين ، ***عمان وتاريخها البحري*** ، وزارة الإعلام والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩م .

١٧ ـ محمود يوسف لي هوا ين ، ***المساجد في الصين*** ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، ١٩٨٩م .

ثانيا: المصادر والمراجع الأجنبية:

المراجع باللغة الإنجليزية :

1 - ***An Ancient Account of India and China, by Two Mohamedans Travellers, Who Went to those Parts in 9th Century***. Translated from Arabic by Eusebius Renovdot, London, MDCCXXXIIL. p. 51-85.

2 - Broomhall, Marshall. ***Islam in China, a Neglected Problem,*** London, Morgan and Scotts, 1910, p. 8.

3 - CH'EN Yuan, ***Western and Central Asians in China Under the Mongols, their Transformation into Chinses,*** first Published by Monumenta Serica at the University of California, Los Angeles 1966, paper back edition nettetal 1989, p. 164-16.

4 - ***Chau Ju-Kua, his work on the Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteen Century Entitled. Chu-Fan Chi,*** translated from the Chinese, and annoted by Friedrich Hirth and W. W. Rockhill, printed office of the Imperial Academy of Science, 1911.

5 - Craig Harris, Lillian. ***China Considers the Middle East,*** I.B. Tauris & Co. Ltd Publishes, London, New York, 1993.

6 - ***The Fihrist of Al-Nadim. A Tenth Century Survey of Muslim Culture,*** Volume 1, Doge, Bayard, (Editor), New York, Columbia University Press, 1970, p. 836-837.

7 - Hourani, George, Fadlo, ***Arab Sea Faring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times***, Princeton, New Jersey Press, 1951.

8 - Hirth, F. ***China and the Roman Orient,*** Leipsig and Munich: 1885, George Hirth. Shanghai & Hong Kong: Kellyes Walsh, reprinted in China 1939.

9 - Hirth, F. Ancient Porcelain. ***A Study in Chinese Mediaeval Industry and Trade,*** Leipsic & Munich: George Hirth, 1888.

10 - Leslie, Donald Daniel. ***Islam in Tradional China,*** Canberra College of Advansced Education, 1986.

11 - Rossabi, Morris. ***The Muslims in the Early Yuan Dynasty,*** D. Lang Lois, Jr. John. (Editor). ***China Under Mongol,*** Princeton University Press, New Jersey, 1981.

12 - Needham, Joseph. ***Science and Civilization in China***, Volume 1, Cam-

bridge University Press, first published 1995, reprinted 1979, p. 179.
13 - O. C. Crawford. ***The Apeal of Mohammedanism to the Chinese Mind Yen Ching University Library, Soochow, no date.***
14 - ***The Periplus of the Erythraean Sea,*** translated from Greek and annotated by, Wilfred H. Schoff, Longmans Green, New York, 1912.
15 - Yule. ***Cathay and the Way Thither,*** London, Volume 2, 1866.

المصادر والمراجع باللغة الصينية

المصادر :

1- Hou-Han Shu. (Written during the 5th century A.D.), Chapter 88. "Account of the Country of Tiao-Chih and An-Shi".
2 - Tung Dian. (Combiled at the beginning of the 9th century), Account of Tiao-Shi, Chapter 192.
3 - Sima Qian, Shi-Chi. (Written about B. C. 91), Chapter 123.
4 - Jiu Tang Shu. (Written towards the middle of the 10th century A.D.).
5 - Xin Tang Shu, (Written during middle of the 11th century A.D.).
6 - Ce-Fu-Yuan Gui.
7 - Wu Yue Bei Shi. (Out line of the Wu and Yue history), Vol. 2.
8 - Song Shi. (Edited in 1345 A. D.).
9 - Yuan Shi. (Edited in 1370 A. D.).
10 - Ming Shi. (Concluded in 1724 A. D.).

المراجع باللغة الصينية :

1 - Zhang Guang Da. An outline of the historic relations between China and the Arabs in the early era. Edited by Zhou Yi Liang: ***The History of Sino-Foreign Culture Intercourse*** Hunan, The People's Publishing House, 1987.
2 - Zhang Yin Lan and Zhu Jia Qin (eds). ***Collections of Information about the Communication Between China and the Western Countries,*** Vol. 1, China Press House, Beijing, 1974.
3 - Mi Kami Tsugio. Porcelain Route, translated into Chinese by Zhuang Jing-Hui, ***Translated papers on the Chinses relations with the foreign countries,***

first edition, Shanghai Translations Publishing House, 1984.

الدوريات والمجلات:

1 - Zhang Jun-Yan. The Relations Between China and the Arabs in the Early Times, Ministry of National Heritage and Culture Muscut, 1983, ***The Journal of Omani Studies***, reprinted from Volume 6, part 1.

2 - F. S. Drake. Mohammedanism in Tang Dynasty, Monvmenta Serica, ***Journal of Oriental Studies of the Catholic University of Peking***, Vol. 111, 1943.

3 - Rev. G. Findlay Andrew. O. B. E. Islam in North-West China to Day, ***Journal of the Royal Central Asian Society***, Vol. XIX. January 1932.

4 - Jitsuzo Kuwabara, "On Pu Shou-Keng, Memories of the Research Department of the Tokyo Bunko, the ***Oriental Library***, No. 2, Tokyo, The Toyo Bunko, 1928.

٥ ـ رضوان ليو روي ، اللغة العربية في الصين ، الماضي والحاضر ، مقالة من جزئين ، الجزء الأول ، ***مجلة بناء الصين*** ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٩م ، ص ٣٢ .

٦ ـ المسلمون في مدينة يانجو الماضي والحاضر ، ***مجلة بناء الصين*** ، العدد رقم ٩ ، سبتمبر ١٩٨٩م .

٧ ـ هادي العلوي ، من تاريخ العلاقة بين الحضارتين الصينية والإسلامية ، ***مجلة المدى الثقافية*** ، نيقوسيا ، قبرص ، العدد الأول ، ١٩٩٣م ، ص ٢٧ .

٨ ـ ***مجلة بناء الصين*** ، المواصلات بين يانجو والبلاد العربية في العصر القديم ، يونيو ١٩٩٠م .

٩ ـ يحيى لين سونغ ، السيد شمس الدين مساهمة عظيمة لمسلم في بناء مناطق الصين الحدودية ، ***مجلة بناء الصين*** ، العدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٧٩م .

١٠ ـ Wang Shu Kai ، طريق المسلمين الصينيين إلى مكة في العصور القديمة ، ***مجلة بناء الصين*** ، العدد الثاني ، فبراير ١٩٨٣م .

الأوراق:

١ ـ علي بن إبراهيم حامد غبان ، ***طريق الحرير البحري وتاريخ العلاقات التجارية بين الصين وجزيرة العرب*** ، ورقة مقدمة في محاضرات الأسبوع الثقافي الخليجي في بكين ، ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧م .

٢ ـ عبدالرحمن ناجون ، ***العلاقات بين الصين والعرب في القرون الوسطى*** ، ورقة غير منشورة ،

معهد اللغات الأجنبية الثاني بكين .
٣ ـ رضوان ليون لين روي ، العلاقات الصينية العربية في العصور القديمة ، ورقة مقدمة في اللقاء الثقافي الصيني المغربي ، السفارة المغربية ، بكين ١٩٨٨م .
٤ ـ مونيك كارفران ، ***مدينة صحار العمانية وعلاقتها بطرق الحرير البحرية*** ، ورقة مقدمة إلى الندوة الدولية لطرق الحرير بجامعة السلطان قابوس ، الفترة من ٢٠ إلى ٢١/ ١١/ ١٩٩٠ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مشروع منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) لدراسة طرق الحرير ، ١٩٩١م .
٥ ـ لي يانغ شنغ ، ملاحظات في إحياء ذكرى سعيد بن أبو علي ، ***دراسة حول العلاقة بين العمانيين والصينيين في الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر*** ، ورقة مقدمة للندوة الدولية لطرق الحرير بجامعة السلطان قابوس في الفترة من ٢٠ إلى ٢١/ ١١/ ١٩٩٠م ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، حصاد الندوة الدولية لطرق الحرير ، المجلد الأول ، مطبعة مزون ، ١٩٩١م .
٦ ـ Huo Tao, Cheng Ho 1371-1433, paper presented at the UNESCO International seminar on martime Silk Route, Lipson, 1992.

الرسائل الجامعية:

١ ـ جعفر كرار أحمد ، ***العلاقات الصينية العربية*** ، رسالة دكتوراه ، جامعة نانجين ، إشراف الأستاذ Chen De Zhe والأستاذ المساعد Hua Tao ، جامعة نانجين ، ١٩٩٥م .

الصحف اليومية:

١ ـ صحيفة الاتحاد ، أبو ظبي ، ١٠/ ١٢/ ١٩٩٧م .

المقابلات :

١ ـ لقاء مع الباحث الإسلامي السوداني ، حسن عبدالله الترابي ، الخرطوم ، مكتب المؤتمر الإسلامي ، ٢٢/ ٢/ ١٩٩٦م .